التعصب

التحليل النفسي لظاهرة مرعبة^١

ترجمة وإعداد: أ.د. سامر جميل رضوان

Prof. Dr. Samer J. Rudwan

University of Nizwa

بيتر كونتسن Peter Conzen

ملخص: زعزع اعتداء ١١ سبتمبر عالم ٢٠٠١ الوهم المتمثل في أنه في عالم الغد التقني-العقلاني سوف يصبح الحقد التعصبي في عالم الغد التقني-العقلاني عاملاً محسوباً. فمن تفاعل ذهنية متطرفة وأسلحة التدمير الشامل انبثقت سيناريوهات تهديد غير متوقعة. وتبدو اليوم المعالجة الجذرية لجوهر الفكر التعصبي أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى. وهذه المقالة تسعى إلى إلقاء النظر حول جوهر ومحتوى التعصب وتوضيح الدوافع اللاشعورية الكامنة خلف القناعات المتطرفة. وفي الجزء الثاني سوف نقوم بتطوير نظرية تخلقية عن النمو التدريجي لاحتمالية التطرف في أطوار المراحل الحياتية، وكيف يمكنها تحت ظروف تاريخية وتاريخ حياتية محددة أن تتصلب إلى اتجاه تعصب.

Summary: The terrorist attack on September 11th, 2001 shattered the illusion that in a technical-rational world of the future fanatical hate will become a calculable factor. The coactions between fundamentalist spirit and weapons of mass destruction accrue to undreamed threatening scenarios. A profound analysis of the phenomenon "fanaticism" is today more urgently needed than ever before. This essay wants to give an overview about nature and contents of the fanatical, work out the unconscious motives behind extreme convictions. In the second segment an epigenetic theory is developed by the gradual growth of a radical potential in the stages of the life cycle as it can harden under special historical and biographic conditions in fanatical attitudes.

تمثل الأصولية الدينية الممتدة عبر العالم والأخبار اليومية المرعبة حول العنف الناجم عن الإرهاب إحدى الظواهر الباعثة على القلق في عصرنا. فأَيُّ حقد تعصبي غير معقول يدفع أناس، ينطقون باسم الله، إلى تحويل طائرة ركاب إلى صواريخ كروز أو يجزون رؤوس الأبرياء أمام الكاميرا أو يطلقون النار على ظهور أطفال مدرسة هارلين؟

يتملكنا الخوف والغضب فيما يتعلق بتحقيق آخر إمكانات الشر. علينا أن نتعلم كره السلوك الشرير، من دون أن نتحول بأنفسنا إلى مبررين فظيعين أو قضاة زوربيين (بارانويين). فجعل "القوى الشريرة" في العالم الثالث هي وحدها المسؤولة عن تفجر الوضع العالمي الراهن، وكأنه

١ العنوان الأصلي للمقال: (Fanatismus Psychoanalyse eines unheimlichen Phänomens) بالتعاون مع المؤلف: (2007) Conzen, P. Fanatismus. *Forum Psychoanal* 23, 99–119

لم يحدث في أوروبا حرق للسحرة أو الهمجية الفاشية أو وكأن أسلحة الدمار الشامل لم تطبخ في مطابخ سم القوى الكبرى، سوف يمثل ادعاء خطيراً بالعصمة. فالاعتراف بميولنا التعصبية كلها لا بد وأن يشكل اليوم الشرط الأساسي لكل حوار إنساني.

ولكن ما الذي يكمن خلف النزعة الإنسانية للتعصب؟ كيف يمكن أن تتكرر باسم الدين أشد أشكال العنف، ما الذي يحول مناظلو الحرية إلى متعصبين قساة، هل تقود الجماهير نفسها إلى حتفها؟

وبغض النظر عما إذا كانت الجرائم والضلالات تبدو مرضية (باثولوجية pathological) أو جرمية، فعلياً ألا نقلل من قيمة جانب التأثير الديني المنحرف. ففي الكلمة "التعصب" تكمن 'fanum'. وبالأصل كان "fanatici" هم الذين تحولوا في محيط المعبد من قبل عفريت إلى حالة من الحماس المستعر. فالأمر يتعلق بإمكانية رهيبة "للحالة الإنسانية" "Conditio humana"، بالانزلاق في شر لا يرحم، قهري ومطلق إلى حد ما.

لقد شهّر مفكرو التنوير وفي مقدمتهم فولتير بعدم التسامح والانتقام وعدم الحب عند المتعصبين والاندفاع المغلف بالكره للتعصب المقدس. إلا أن محاولة تحقيق النظام السياسي المحكوم بالمنطق بالقوة، أو فصل الروح عن جذرها اللاعقلاني-الغامض يوقظ أشباح جديدة.

ومع المحاكم الثورية وحفلات الرده القومي في العصر الراهن والسيناريوهات الكابوسية للدول الشمولية والحرب الشاملة حل التعصب الديني محل التعصب السياسي، وغالباً ما كان هذا التعصب الديني متجاوزاً التعصب السياسي بالبشاعة والاستعداد البارد للتدمير. ويبدو أن الإرهاب الراهن قد اتخذ لنفسه منبعاً جديداً كلياً، ويظهر بوحشية جبارة حاصداً عدداً كبيراً من الأرواح. فما العمل ضد ظاهرة تتنصل من كل قيم التسامح واللاعنف؟ "فالحرب ضد الإرهاب" هي دمار مستحيل وتؤجج ذلك التعصب بالذات الذي تريد محاربته.

كما ينبغي للنضال ضد الفقر والحرمان وفقدان المعنى ينبغي أن يتحول لواجب عالمي بمقدار الدراسة الأعمق لاستعداداتنا للتعصب والعنف اللاعقلانية. ولكن "من يده في النار غير الذي يده في الماء". إذ أن التعصب في الإنسان بالذات يتجلى بأشكال وألوان مختلفة، ويرتبط بدوافع متنوعة وقد يتستر بمظهر حذق، بحيث يكون من الصعب الوصول إلى تعريفات وتفسيرات علمية موحدة أو حتى تقديم وصفات. ومن المؤكد أن نشوء وتفاقم الظواهر التعصبية يرتبط بدرجة كبيرة بالفقر والتفكير والأزمات الاقتصادية، إلا أنه لا برجوازي منظمة الألوية الحمراء ولا معتدو الحادي عشر من سبتمبر ذوي الأوضاع الجيدة كانوا مدفوعين بأية أزمة اقتصادية في أفعالهم الجنونية.

وما زال حتى الآن أولئك الذين يتحجرون بهذا الشكل إلى درجة أنهم يبدعون برؤية الموت والقتل وسيلة مشروعة لجهادهم بعض من قلة. وقد يستطيع التحليل النفسي وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا الثقافية وعلماء التاريخ أن يقدموا مساهمتهم المثمرة في السؤال عن الاستعداد النفسي بالتحديد وعن الدوافع اللاشعورية الكامنة خلف الانفجار التعصبي المفاجئ إلا أنه يظل هناك شك في أن ينزلق المرء في خطر التقليل من هول الأمر والإساءة للضحايا. ولكن ترك الظاهرة في مجال القوى الغيبية قد يعني الغدر بأحد أوجب المطالب للتفسير. ويظل واجبنا بفتح سراديب الفهم المنطقي في العواطف الإنسانية الأعمق والأكثر وحشية، مع معرفتنا بأننا سنعثر يوماً ما على منطقة الشر المفجع.

جوهر التعصب - الشخصيات التعصبية

هناك عدد كبير من الظواهر يتم اليوم التعبير عنها تحت مصطلح "التعصب Fanatic" أو "التعصبية Fanatism" ^٢، فإرادة التحمل عند الرياضي المفرط، والخطبة الورعة لمغال طائفي أو تبرم المواطن العادي، أو الشغب في ملعب كرة قدم غربي أو ردة الفعل الجماهيرية الغاضبة بعد صلاة الجمعة عند المسلمين. ولكن ما الذي ينتمي في السلوك المتطرف إلى التعصب الفعلي ومتى تتحول القناعة السليمة إلى أصولية fundamentalism متزمنة وهل التعصب هو نوع من الأصولية المفرطة، يشبه الهياج في جانبه العنيف؟

فجوهر التعصب هو الاستحواذ بقناعات عاطفية متصلة بشدة، تعشش في لب الهوية وتتجلى نحو الخارج بعدم التسامح من دون أي استعداد للحوار والحلول الوسط، وغالباً ما تترافق مع زوال الكبح نحو العنف المتزايد باطراد. وبشكل أكثر مما هو الأمر في الأصولية يتعلق الأمر باستكشاف الحقيقة عند الخصم، ومناقشته برئف مرتفع مطلق الذاتية، وتعقُّبه وتدميره في الحالة المتطرفة. وقد ميزت أبحاث التعصب بين التعصب الفردي والجماعي والجماهيري والتعصب الديني والسياسي والأخلاقي، وصنفت أشكال التعصب من نحو التعصب "الحامي" و"البارد" و"الصامت" و"الصريح". أو بنى الشخصية "العميقة" و"الواضحة" (قارن Bolterauer, 1989; Hole 1955; Conzen, 2005). وعليه فإن الاندفاعية المتعصبية لدى المتعصبين الأصوليين هي وليدة الاستعداد الداخلي على الأغلب، أي سمات معينة من الشخصية بالتوليف مع مصير دافعي أو أسري محدد. وغالباً وفي موقف داخلي أو خارجي متأزم تداهما رؤية أو تكليف أو رسالة متحيزة ثائرة. إن الإحساس بأن الإنسان هو وسيلة لقوة عليا، أنه

^٢ لمصطلح Fanatism مرادفات عديدة حسب السياق: التعصب، الغلو (في المجال السياسي والديني)، المغالاة في الأفعال والتصرفات، الحماس المفرط، كما تطلق صفة Fan على المعجبين في المجال الفني والرياضي، أو الأنصار (المؤيدين) لفريق معين.....

صوت الله، كثيراً ما يمنح ظهوره إيحائية عالية. فكثيراً ما كان التأثير الحار بالأفكار قد حرك تغيرات فنية وسياسية وعلمية. وطبقاً للرأي الهيجلي بأنه لا شيء عظيم في تاريخ البشرية قد حدث من دون عاطفة (معاناة)، فلا بد لنا من عدم إنكار مقدار الحق والبحث عن التوافه في الشخصيات المقدسة والكارزميين السياسيين. ومن ناحية أخرى تجد البرودة وغضب الإرادة والاندفاع بالكره لدى المتعصبين الأصوليين بواعث متجددة باستمرار لمآسي كبرى. وبالتحديد في مواقف الأزمات تتلقف الشخصيات الديماغوغية بمتلازمة النرجسية الخبيثة malignant Narcism (قارن 1998, Kernberg) المبادرة، وتستمد من التأثير بمخاوف واستياء resentment الجماهير العريضة شعوراً شاذاً بالقوة، وتتحول دائماً في عصورها إلى مبشرة بالشر.

ويختلف عن ذلك المتعصبون الأصوليون: فهنا يتم غرس الخلجات-العاطفية من الخارج في هويتهم. ويحصل انفجار التعصب من خلال الاتصال بحركة متطرفة أو هيئة تبدو كارزمية وتحظى عندئذ بديناميكياتها الخاصة. وغالباً ما يتعلق الأمر ببشر، مهددين بالفراغ النرجسي أو معذيين من أنا أعلى سادي، بحاجة عميقة للانتماء والإيمان وإن كانت في الوقت نفسه مستحوذة بالاستياء. وبالتحديد في أوقات الأزمات والارتباك والشك ينبثق المتعصب الأصولي، الذي يعيش منقذاً، كالضوء، يعيد بضربة واحدة المعنى والاتجاه إلى الوجود المهشم المبعثر. وفي نوع من "هذيان التفاهة" المتزايد يجعل مثل هؤلاء الأشخاص أنفسهم بلا شرط أدوات في يد جهة مؤلّهة، مستعدون لبذل كل الجهود والمكروهات في سبيل الحصول على الحماية والاعتراف. ويصبح موضوع الولاء التعصبي هو خدمة الجماعة، "القائد"، "الحركة". مع التنازل عن التفكير المستقل والخلجات الضميرية المستقلة وليس من النادر مع إزالة مطردة لكوابح النزوعات الجنائية.

ولا بد هنا من تمييز متعصبو الواجب، المستحذون بالعاطفة، الذين يرون أنه من يصونون شيئاً ما عظيماً، فكرة قائمة، اعتقاد ما أو أخلاقاً معينة ويدافعون عنه ويعملون على نشره بتأثيرهم المتحمس. فكل شيء ينبغي له أن يسير مائة بالمائة بشكل دقيق وأصيل، عندئذ يمكن للفكرة أن تتفتح بكمالها الكلي. ولنتأمل الولاء المطلق للشكل لدى الفنانين والإيمان الحرفي لدى المرانين بالدين والعناد أو الاستبياع، الذي يحاول فيه الإيديولوجيين إخضاع الواقع المنفر لطوباويتهم. وهنا يتجلى بصورة خاصة أحد مصادر التعصب المتمثل في الانقسام بين الأجزاء الناضجة والأكثر بدائية للضمير. فمتعصبو الواجب غالباً ما يمتلكون حكماً شخصياً متميزاً وجمالية مرتفعة aestheticism وإحساساً مرتفعاً بالقيمة. إلا أنه حتى أبسط الانحرافات، أقل أمر مرتجل Improvisation يستثير حنقاً شديداً وانتقاداً لاذعاً من الأنا الأعلى، غالباً وصولاً إلى نقطة يبدأ فيها الكره والامتعاض resentment بافتراض قيمة الفكرة. ويمكن لأخلاقيو المبادئ

المتعصبون في قمة الجماعة أن يحدثوا تطورات وخيمة العواقب. ويمثل كالفين Calvin أو روبسبير Robespierre^٣ نموذجان أوليان لإثارة الوحشية الباردة في خدمة مثل أعلى طاهر تعصبي.

ولدى المتعصبون القهريون بالمقابل يظهر تعصب مستحث أو مستثار induce في شكله البدائي primitive الأشد وحشية على الأغلب. إنهم "الأتباع" التقليديون، الجلادون، مجرمو المكاتب والأتباع المنفذون، الذين يوصون بفعل أي شيء بلا شروط ومن دون أي استناد معمق لعالم القيم ويحققون بهذا المعنى والأهمية لوجودهم التافه. التعصب هو النزعة نحو إرضاء السلطة تحت كل الظروف، تنفيذ مهمة معطاة بأكبر سرعة قدر الإمكان، بفاعلية من دون أي تفكير. وغالباً ما ترتبط لدى هذه الشخصيات الإرادة الحماسية السادية بالطموح للسلطة وشهوة الكسب. ويختلف الأمر لدى متعصبو الواجب فهم أسرع استعداداً لتبديل الجبهات، وإنكار ماضيهم فيما بعد، إذا ما بدت لهم السلطة التي كانوا يقدسونها بشكل أعمى ضعيفة. وغالباً يشكل المتعصبون القهريون في الأنظمة الشمولية المصفاة الداعمة بين فكرة عصمة الطاغية infallibility ideal of dictator وبين الواقعية الفجة لعالم القتل، ينفذون من دون اعتراض، من دون أي إحساس بالضحية العمل القذر. فمن بين زبانية أمن الدولة النازيين في العالم الذهاني لمعسكرات الاعتقال كان هناك خبثاء^٤ أذكىاء intelligence Cynic وفي الوقت نفسه سيكوباتيون متوحشون. جميعهم خضعوا بلا شروط "لإرادة القائد"، جميعهم أغلقوا المنطق النقدي، الذي كان يفترض له أن يسجل

^٣ الكالفينية هي مذهب مسيحي بروتستانتي يعزى تأسيسه للمصلح الفرنسي جون كالفن، وكان هذا الأخير قد وضع بين عامي ١٥٣٦م و١٥٥٩م مؤلفه (مبادئ الإيمان المسيحي) والذي يعتبره الكثيرون من أهم ما كتب في الحركة البروتستانتية.

سار كالفن على خطى بولس الرسول والقديس أوغسطين في التأكيد على ما اعتبره سمو الله وسيادته على كل شيء، وتتقاطع أفكاره مع أفكار مارتن لوتر في أن تبرير الخطاة والخلص يحصل عن طريق الإيمان فقط وليس بالأعمال. ولكن كالفن كان يعتقد بالاختيار المسبق، أي أن الإنسان بعد أن يخطئ لا يستطيع أن يمتلك الإرادة الحرة للتوبة، أما كل الذين سينالون الخلاص فإن الله كان قد سبق واختارهم قبل إنشاء العالم.

اعتبر كالفن الكتاب المقدس بأنه المرجعية الأولى ذات الشرعية والسلطة والتي يجب أن تخضع لها السلطات الأرضية، وقد نجح من خلال هذا الفكر بتشكيل حكومة ثيوقراطية في جنيف عرفت بنظامها المتشدد.

في القرن الثامن عشر الميلادي قام أحد أبرز رجال الثورة الفرنسية روبسبير مكسيمليان ROBESPIERRE MAXMILIEN 1758-1794 بالقضاء على خصومه السياسيين، وبدأ بذلك عهد حافل بالإرهاب حيث كانت نتيجة أعماله القضاء على أربعين ألف (٤٠,٠٠٠) شخص.

^٤ نسبة إلى المذهب الكلبى. والكلبي شخص عياب، شكاك في طيبة الدوافع البشرية. والمدرسة الكلبية في القرن الرابع قبل الميلاد، تأسست في اليونان المدرسة الكلبية أو مجموعة الكلبين، الكلبية هي سمة للشخصية التي تتميز بالاحتقار الصريح للقواعد الأخلاقية.

كانت تتخذ موقف الاحتقار من العادات والثقافة وقد دفعهم ذلك إلى انتهاك الفضيلة وبالتالي فإن الناس الذين يتجاهلون قواعد الأخلاق والفضيلة بلا حياء، أصبح يطلق عليهم اسم الكلبين وترتبط النزعة الكلبية بنقص التطور الثقافي والأنانية وغير ذلك من السمات السلبية.

مباشرة جنونية أعمالهم. ورؤية هؤلاء البشر على أنهم مجرد عجلة صغيرة في آلة كبيرة قد يعني التماهي مع تبرير أنفسهم الشاكي. لقد كان محترفوا الوحشية من نحو هوس Hoess أو آيشمان Eichmann كمال الشر Perfectionist of Evil، سخرُوا كل طاقتهم وخيالاتهم الشاذة في تنظيم المذابح الجماعية.

التعصب الجماعي والجماهيري

يوجد **التعصب الجماعي** في كل مكان تمثل فيه الاتجاهات والأهداف المتطرفة جوهر إيديولوجية المجموعة ومتبينة باطراد متزايد العنف نحو الداخل والخارج. والمبدأ الساري هنا هو المبدأ المطلق في مكافحة الشر باعتبار المجموعة رأس حربة الخير، ومن أجل ذلك لابد للفرد أن يخضع، أن يسخر كل طاقاته ويضع نفسه تحت تصرف المبدأ المشترك. وبالتحديد في الطوائف أو المذاهب الدينية والسياسية أو في دوائر القيادة في السلطة المطلقة نلاحظ تضارب وخيم بين التعصب الأصولي originary Fanatism للزعيم وبين التعصب المستحث (المُحدث) induced Fanatism لأتباعه. فهؤلاء الأتباع يدعمونه في هوامات العظمة وفي التحريف الزوري (البارانوني) للواقع، يستغلون مخاوفه وضعفه، يتنافسون في تنفيذ إرادته بطاعة متعجلة. مقابل هذا تتم حمايتهم من القائد، وتعزيزهم ويمكنهم أن يعززوا من قيمة أنفسهم بشكل نرجسي مصطنع تحت ألق عزه الهدام. وبما أنه لا يمكن على الإطلاق تحقيق هدف العدالة الكاملة، تصبح الحرب ضد صورة العدو أشد وحشية باطراد، وفقدان الإطار الواقعي أكثر بروزاً. وليس من النادر أن يتوه تعصب الجماعة في حيرة ويأس وينفجر -ولنتأمل الذبح الجماعي لطوائف "نهاية الزمن" أو حمامات الدم التي يسببها القاتل الراكض (أموك Amok)- في تصفية أخيرة مدمرة.

وهناك مجموعات متطرفة أخرى تعتبر نفسها على أنها منظمات نضال ومؤسسات تأهيل وشبكات خلاقة creative Network في الوقت نفسه. وتسعى بعناد نحو هدف التحرر من السيطرة الخارجية وتقرير المصير الوطني وغالباً ما لا يستطيع المرء في البداية وصف أعضاء مثل هذه الجماعات بالمتعصبين العميان. فبعضهم يوحي مظهره بالهدوء والذكاء والمتعاطف ولا يطالبون إلا بالعدالة لأنفسهم ولشعبهم المقهور. إلا أنه بداية عندما يشتعل موضوع الكفاح تنفجر فيهم القسوة النفسية.

والتعصب الجماعي المدعوم والمنمى منهجياً من المنظمات الاستبدادية غالباً ما يكون وحشياً وغداراً. ولنتأمل هنا فرق البلطجة شبه العسكرية ووحدات الدعاية والمراقبة والتصفية لأمن الدولة النازي أو الألمان الشرقي أو الأجهزة الأمنية الأخرى الذين قاموا بتصفية كل

المعارضين والمقاومين وغير المرغوب فيهم، ومن ثم عملوا على تأمين الهدوء للدكتاتور. وغالباً حتى ضحايا الإهانة والتدريب العسكري يأتي يوم يتماهون فيه مع أعضاء مثل هذه المنظمات بصورة شبه إلهية-مستكبرة مع هوامات السلطة المطلقة، جاعلين من ضحاياهم مساحات إسقاط^٥ للخجل ومشاعر النقص التي يبدو "بحق" أنهم يلاحقونها ويعذبونها ويدمرونها في ضحاياهم.

ونحدث عن **التعصب الجماهيري** عندما تستحوذ على مجموعات كبيرة من الناس حالات مشاعر عاطفية هائجة وقناعات عمياء. وقد يكون التوكيد مرة أكثر على الحماس الهوسي في لحظة الحمية والهيّاج والحماس والصخب بدءاً من الغاضبين الراقصين في العصور الوسطى وانتهاء بطقوس العرابة التضحية بالنفس في العروض الغنائية الإليكترونية لعصرنا. أو يغمر الاستنكار والغضب والحقد على الجمهور، الذي يمكن أن يتحول بسهولة إلى عنف فاسق وسعار تدمير. وفي حالات الجمهور يكون خطر العدوى بالخوف من المتعصبين أكبر ما يكون. فأي بؤرة أو دوامة جماعية من المشاعر البدائية تكتسح المشاعر الأخلاقية وتعطل المنطق. وكل ما تم بناؤه وتشكله عبر عقود من الهوية المتميزة في الشخصية يبدو في ضربة واحدة في مهبط الريح (قارن Mitscherlich, 1977). إن ما يقلب الجمهور في الأوضاع الاستثنائية ليس الشعور بالصلة أو الارتباط الليبديوي (Freud, 1922) فحسب، وإنما كذلك نرجسية مفرطة الشدة، قدسية تقريباً، "الذات الجمعية المتضخمة grandiose Groups-Self" (Kohut, 1973)، وارتفاعها من خلال الإحساس بالقرب الجسدي ومشاعر قوة "المجموعة الفيزيائية" (Kakar, 1997). ولكن الشعور الجمعي بالقوة بالذات سرعان ما ينتهي على سبيل المفارقة باستعداد تخديري للخضوع. لقد كان تحويل الجماهير إلى قوة صادمة سياسية وتعصبية حماسية هدف كل الديماغوجيات^٦

^٥ الإسقاط **Projection**: يعرف الإسقاط بأنه إنكار الميول والأفكار الذاتية لما تسببه من مشاعر ذنب وعزوها للآخرين. فالمشاعر غير المرغوبة، كالعدوانية أو الصفات النفسية ذات القيمة السلبية كالخجل، أو الصفات الجسدية غير المرغوب فيها التي يمتلكها الشخص يتم إسقاطها على الأشخاص الآخرين ونسبتها إليهم. ويستخدم المرضى الإسقاط أكثر من غيرهم وهي سمة مميزة في الزور (البارانويا). غير أنه يمكن أن يكون في حالات محددة آلية مفيداً لتجنب مشاعر الألم والتهديد والرؤية المؤلمة للأنفعالات السلبية الذاتية للشخص. ومن ثم يمنع الشعور بالنقص. فنقل الصراعات النفسية الداخلية إلى الخارج يحفظ إحساس الإنسان بقيمته، غير أنه من جانب آخر يقود إلى الإدراك المشوه والخطأ وإللى الأحكام المسبقة. أما الإنسان الناضج فهو يتعامل مع الإسقاط بمرونة وحرية ويساعده في نقد المحيط، ويدفعه للمقاومة، ويجنبه إمكانية استغلاله من قبل الآخرين. والإنسان الناضج يستطيع من خلال التأمل إدراك التشويهاً والتقييمات الإدراكية وتصحيحها والبحث عن أسباب الإسقاط.

^٦ الديماغوجيا: كلمة يونانية تعني شعب - قائد - السياسي المتلاعب - يدل على التقييم الأخلاقي السلبي لنمط من الأفعال والتصرفات التي تشكل لونا من الرياء والنفاق في السياسة والتي تهدف إلى الاستحواذ على وعي الجماهير باسم أغراض أنانية وتتم عادة باستخدام وسائل الأخلاق، وبين أهداف الديماغوجيا يأتي الوصول إلى السلطة واكتساب الشعبية لدى الجماهير، وتحقيق المآرب الأنانية الطبقية والشخصية والمتاجرة بمصالح الجماهير وتطلعاتها. واللجوء إلى البواعث الوضعية والرواسب المخلفة لدى الناس وحلف الإيمان الكاذب بالإخلاص للشعب، إن القاعدة الاجتماعية للديماغوجيا هي وجود طبقات مستغلة تمارس سيطرتها على الكادحين لا بوسائل العنف المباشر بل وعن طريق الخداع السياسي أثناء الحملات الانتخابية وفي الدعاية اليومية وتنظيم انتفاضات جماهيرية رجعية والأعمال التخريبية.

demagogy (مهيجو الجماهير) في جميع العصور وأخذ في القرن العشرين صفة التجربة العلمية – لا عقلانية التقنية المتطورة the High tech irrationalism للاجتماعات الثقافية الفاشية-

التعصب الديني والسياسي والأخلاقي

يبدو التعصب الديني الذي يستنزف نفسه في مكافحة الشك واستئصال الشر، وكأنه الشكل البدائي أو الأصلي للتعصب الإنساني وشعلة التاريخ. وبالذات فإن جهاد الديانات التوحيدية monotheist Religion في سبيل الدين الوحيد الصحيح كلف مجازر hecatombs ودماء وخلف جراحاً عميقة في النفس الجمعية لليهود والمسيحيين والعرب. ولكن حتى الديانات الآسيوية التي تبدو متسامحة – ولنتذكر هنا المذابح بين السيخ والهندوس أو إرهاب طائفة الأوم Aum-Sect- أظهرت انحرافات عميقة في الميل البشري للإيمان. ومن المؤكد فإن جزء كبير من الشطط يقوم على سوء استخدام instrumentalization التعاليم الدينية لأغراض غير شريفة أولاً وأخيراً. وليس هناك من شيء يمكن تهييج واستثارة في أوقات الأزمة مثل جرح المشاعر الدينية؛ فليس هناك أي مطلب بالسلطة أو أنا الجماعة أشد منعة من تلك التي يتم تشريعها من الله؛ وليس هناك من صورة للعدو يمكن تشويهها أكثر من رميها "بالكفر" أو "الإلحاد" أو "باستحواذها بالشیطان". يضاف إلى ذلك أنه يكمن في جوهر الخبرة الدينية ذاتها شيء من التطرف، في شكل لا يجيز أي شك أو تشكيك على الإطلاق. ومن يؤمن بحقيقة الله فإن الدفاع ونشر الدين غالباً ما يصبح ملزماً بالنسبة له. ولكن متى تتحول العقيدة إلى الخرافة، والتدين الصحي إلى التطرف، والزهد إلى مازوخية معذبة لذات؟

فمن حيث المبدأ إذا كانت التعاليم الدينية تريد تقوية الحياة، تقوية مبدأ التوالد Generative ضد الشذوذ الممكن لطبيعة الدافع الإنسانية (قارن Erikson, 1981)، فإن الدين بالأصل كما يرى

الديماغوجية بالمعنى المستخدم اليوم القدرة على كسب تعضيد الناس ونصرتهم عن طريق استثارة عواطفهم واللعب بأحاسيسهم ومشاعرهم وليس عن طريق الحوار العقلاني معهم، والديماغوجي هو الشخص القادر على الوصول إلى السلطة السياسية مستخدماً مهاراته الخطابية، حيث يستطيع أن يتحكم في انفعالات المستمعين إليه وأن يدفعهم إلى التحرك في الاتجاه الذي يريده هو بالرغم من وجود اعتبارات كثيرة موضوعية ترجح عدم التحرك في هذا الاتجاه، ويرى العديد من المفكرين أن الديماغوجي لابد أن يكون متصفاً أصلاً بصفات كاريزماتية وبصفات قيادية، وأن يكون شديد الثقة بنفسه وقادراً على أن ينقل ذلك الشعور بالثقة للآخرين بحيث يظهر لهم وكأنه مقتنع تماماً بصدق ما يقوله لهم رغم علمه التام بزيغ ما يدعيه، ودائماً ما يعزف الديماغوجي على وتر قدرته على الرؤية المستقبلية لأخطار تحقق بالشعب ولا يستطيع أن يراها، فيدعو الناس للتكتل وراءه ليحارب بهم قوى الطغيان التي يعلم دونهم أنها تحاول قهرهم والسيطرة عليهم، والديماغوجي يكون دائماً مهتماً بالوصول إلى السلطة أكثر من اهتمامه بالصالح العام، ومن ثم يكون مستعداً دوماً لتبني سياسات ذات عواقب وخيمة بالنسبة للشعب إذا ما كانت هذه السياسات ستحقق هدفه الشخصي في الوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.

شاسيغوت-سميرغل (1989) Chasseguet-Smirgel أقوى حصن ضد سيطرة وسيادة الشر. إلا أن النزعة بالذات نحو تصوير وتجسيد الشر على هيئة الجن والشياطين والأرواح الشريرة يمكن أن يؤدي إلى انقسامات خطيرة. إذ أنه يصبح من السهولة بمكان إطلاق شبهة الارتباط بقوى الشر على الأشخاص أو على جماعات إنسانية كاملة غير محبوبة ويصبحون وقت الجد معرضون للانتقام البدائي. والنصوص الدينية المقدسة تحت على الإيثار وحب الغير والتسامح والرحمة وتحذر من ادعاء العصمة وسوء استغلال السلطة والإسقاط سيء النية، وهي نصوص دائماً ما يتجاهلها المتطرفون على سبيل المفارقة. فلا يوجد أي دين يستطيع منع أن يقوم أفراد متطرفون بنسج صورة للعالم من قطع دينية، يتحول فيها الله من حقيقة محبة-متسامحة إلى هيئة والدية مرعبة، وكأنه أنا أعلى سادي مسقط على السماء. وبشكل أقرب ما يكون للحتمية لابد للمتعصبين الدينيين أن يسقطوا الشر الكامن في صدورهم والشك الذاتي ونزواتهم الدافعية ونزعاتهم التمردية على الآخرين ويقامونه هناك بالنيابة. فإذا ما شجعت تركيبة تاريخية ما على الجهاد، فإنهم يشاركون بوصفهم "عبيد أوفياء" لله على الخط الأممي للجهة. وما زالت حتى الآن برودة وغدر ملاحقة السحرة والاستجابات، واليقين الراسخ للمدعي وهلع الضحايا والسادية المتصاعدة للممارسات التعذيبية والاعتراف الإجباري والاتهامات التي جعلت الهذيان يتحول إلى جائحة تتجاوز كل قدراتنا على التصور.

في النتيجة التاريخية الوخيمة للتعصب الديني، الاضطهاد والمذابح والحروب المقدسة صهرت العقيدة -باعتبارها المالك الوحيد للحقيقة- الناس في اتجاه attitude عدم التسامح المتطرف، حيث يسري مبدأ الدفاع عن قضية الله، الدائمة التبني، ضد أعداء الدين. فيتشابك الكره مع السادية اللامتناهية ضد "الكفار" والأقليات ومجموعات الخصوم، التي ينبغي تحقيرها وإهانتها واستغلالها وتدميرها بلا تبصر بوصفها "المادة الحاملة للشر". فقد خطر على بال فولتير Voltaire في زمن فرسان الصليب "كل أوروبا تزحف نحو آسيا وطريقها مشرب بدماء اليهود". وفي الواقع فإن التعاليم الدينية قد جعلت الأمر صعباً في جميع العصور من خلال كبحها للميول التدميرية عند البشر. إلا أن مقاومة العنف تصبح أكبر بكثير عندما تشجع السلطات الدينية هذا العنف أو تسكت عنه على الأقل.

وعلى عكس ذلك يهدف **التعصب السياسي** إلى تحقيق أهداف دنيوية بالطرق المتطرفة-العنيفة، التي، بالتصاهر مع التعصب الديني، تكتسب صفة شيء جليل، عظيم، حتمي، سام بشكل صوفي mystic transcendence والتي تتم التضحية في سبيلها بانتظام، وعلى عكس كل التأكيدات، بحرية وكرامة الفرد. وسيان فيما إذا كان الأمر يتعلق بالعزة الوطنية أم بالتححرر من السيطرة

الخارجية أم "بالحفاظ على النقاء العرقي" لعرق ما أم "بآخر" كفاح ثوري عالمي فإن التعصب السياسي في القرن العشرين خلق لنفسه شياطين جدد كان لابد من محوها في صراع على الحياة والموت. فقادة مدفوعين بالاستبداد المطلق وبوعي إيديولوجي متعصب بالرسالة، مثل ستالين أو ماو، سلبوا إرادة شعوب كاملة، استغلوا - بكل الإمكانيات التقنية للحدث - الجماهير لسيناريوهات هدامة، وبنوا أجهزة قمع وحشية. وبما أنه لم يكن من الجائز أن يعاني النظام الاشتراكي من نقاط ضعف، فقد كان لابد وبشكل حتمي من البحث عن الفشل في الأفراد، في "البعبع" المعادي للثورة الواجب تقصي أثره في كل مكان. ويشهد الترحيل الإجباري بلا تبصر والفلاحين المجوعين، عمليات الاستعراض التي تظهر العقوبات الصارمة على الضحايا، الملايين من المرحلين والمصفين إلى معسكرات العمل - كل هذا يشهد بنظام مهول تنكر كلية الحرية وسعادة الأفراد. غير أن كل هذا لم يتجاوز حدثاً، ما زالت كل الكلمات حتى الآن تعجز عن وصفه - أوشفيتز ⁷ - والإزالة الصناعية الواعية لشعب كامل، ليس لسبب اقتصادي ما، وإنما كنتيجة وحيدة لهذين عنصرين. ولم يكن هناك أي وقت من الأوقات كان فيها شك بالنوايا مطلقة الشر "لإرهابي الإنسانية أدولف هتلر" (Stierlin, 1975). وحتى اليوم لا يوجد اتفاق حول أي من أهدافه السياسية الهيدانية كانت أكثر إلحاحاً لديه، غزو "مجال حياة" أو النزعة، "الموضوع الشرير"، "عدو العنصر اليهودي"، تدميره في هؤلاء. أما طروحات الذنب الجمعية فلم يعد أحد اليوم ينادي بها. إلا أن الانتهازية opportunism والميل للانقياد الأعمى، الإنكار والمشاركة الحماسية لكثير من الألمان "العاديين" أثار فيما بعد الاستغراب بشكل مرعب.

ويقصد بالتعصب الأخلاقي المبالغة بالنزعة نحو النزاهة والزهد الأخلاقيين بالارتباط مع المكافحة الشهوانية والميوعة والفسق. وليس من النادر أن يعني الكبت الجنسي وضغط المثل الأخلاقية المرهقة وعدم القدرة على الحب أو تحريم الحب الانزلاق في تطورات متطرفة للشخصية. وبالنسبة لرسالة الأخلاق القهريين تتحول الحياة الدافعية إلى واقع دائم الكرب مشوب بلاخطيئة، ويمكن للمعبر نحو الذهان أن يصبح مطاطاً على شكل هذين بدائي archaic بالذنب أو إخفاء ذاتي استحواذي. ويعد التعصب الأخلاقي دائماً مكنون أساسي من التعصب الديني ويخدم كذلك في التعصب السياسي بانتظام في التمييز Discrimination ضد الخصم. فموضوع الكره عند المتعصب هو دائماً سطح إسقاط لكل ما هو قذر وشرجي ومقرف والتحقير اللفظي يجعل التغلب عليه يتحول إلى فعل "تنظيفي". لقد تم اتهام سحرة القرون الوسطى بكامل الطيف

⁷ أحد معسكرات الإبادة النازية

المقزز من الشذوذات الجنسية، وصولاً إلى النقطة التي بدأت فيها النساء الممارس عليهن الإرهاب المقيت بالتماهي مع الهوامات الشاذة للمدعي^٨. وكذلك الملاحقة السياسية والحروب القرن العشرين الصليبية اعتبرت تبخيسياً Cynic "وقاية عرقية Race hygiene" أو "تنظيف عرقي ethnic cleaning". وفي القرآن نظمت العلاقة بين الجنسين بشكل صارم، حيث عدت وتعد الانحرافات والفسق والتمرد والجنسية المثلية على أنها مخالفة شديدة لله وأحكامه القطعية. وبشكل يكاد يكون أقرب للنمطية يقسم الإسلاميون الجدد بأن الغرب هو مكان الفساد والاختلاط غير الشرعي بين الجنسين promiscuity والتهافت، على أنه سم يحاول اختراق العالم الإسلامي الذي يخاف الله و"يفسده من الداخل. وفي الواقع يمكن للظهور المفاجئ للصرامة الأخلاقية الذاتية، وبالتحديد لدى الإرهابيين العرب، أن يكون علامة للطور الأولي من التعصب fanatical Prodomal Phases. فقد انسحب محمد عطا "العقل المنفذ" لاعتداءات ١١ سبتمبر من الدراسة إلى عالم الصلوات والطقوس الدينية، وابتعد بشكل مريب عن النساء، وحدد في وصيته ألا تمس جثته امرأة. وهنا تظهر بوادر شك بدائي بالخوف من الجنسية والحميمية والعطاء، جعله ينعزل وربما أسهم في تصلبه التعصبي.

التعصب من وجهة النظر التحليلية النفسية بوصفه استبدادية بين نفسية

بغض النظر عن الكيفية التي نفسر فيها التعصب من وجهة نظر التحليل النفسي، سواء بوصفها انحراف وظائف العقاب للأنا الأعلى أو بوصفها تكوين عكسي ضد الحقد والكره والحسد أو الخجل، أو بوصفه نكوص جمعي عند وجود تهديد بفقدان التعاضد الجماعي فإن ما يستثير الإحساس التعصبي شخصياً، يظل دائماً الشعور بتهديد الهوية. فالناس يستجيبون بتعصب خصوصاً عندما يتم الاعتداء على قيمهم الأساسية أو ولاءاتهم أو اتجاهاتهم الدينية أو التقليل من قيمتها. عندئذ سرعان ما تنفجر أنماط الاستجابات الراسخة في التطور العرقي phylogenetic، والتي هي أقل تخصيصاً وأكثر قابلية للاستغلال بشكل لا متناه لدى الإنسان من طقوس الدفاع-الهرب المطابقة لدى الحيوانات العليا. وبكلمات التحليل النفسي فإن الأنا في مواقف الخوف الشديد والخجل أو الغضب ينقلب إلى مستوى الوظائف الدنيا للموقف الزوري (البارانوي)-الفصاماني، ويقسم العالم، وأحياناً بطريقة عشوائية كلية إلى فئات خيرة وفئات شريرة. وكل ما هو إيجابي وحقيقي وموثوق يتم حصره بالذات أو في الإطار الداخلي للجماعة الخاصة؛ في حين يتم إسقاط كل ما هو متناقض ومهدد نحو الخارج على قوى الشر العميق، التي يتم تحميلها مسؤولية الشر كلها، التي تعد مقاومتها الحاسمة الخطوة الأولى من أجل ترميم ضياع الهوية

^٨ النائب أو المدعي العام

المشلولة. ومثل هذه الاستبدادات البين نفسية تنتمي في تعكراتنا المزاجية وعنادنا إلى الحياة النفسية الطبيعية. فكل إنسان يمكن أن ينزلق في استجابات انفعالية تعصبية (Conzen, 2005)، في حماس غير عقلي أو في غضب انفعالي أو أن يتصلب في طور عبور تعصبي طويل (المرجع السابق). ولكن علينا ألا نتحدث عن تغير تعصبي في الشخصية إلا عندما تستحوذ على جوهر الذات قناعات راسخة لا تتزعزع وبصورة دائمة، وتستقطب كل الطاقة النفسية نحوها وتغير بشكل متطرف هوية الشخصية بنوع من خبرة رؤيوية apocalyptic مزمنة مفادها شيء ما مطلق الخير –إرادة الله، اللحمة الوطنية، مبدأ العدالة- مهدد بشيء مطلق الشر. ولا يعود هناك مكان للتأجيل والصبر والانتظار والحل. لا بد من محاربة الشر بكل الوسائل، والانتصار للخير، عندئذ تصبح الحياة ممكنة بكرامة وحرية ولياقة. وبوعي مرعب بالرسالة واستياء رهيب في الوقت نفسه، يتابع المتعصب هدفه، ويتفوق بشكل غير قابل للتعليم والتصحيح في صورة للعالم، لا يوجد فيها أية أصوات رمادية أو أية تناقضات. ويصبح إسقاط كل الغضب، كل احتقار على مبدأ شرير واحد، واحد فقط، -بما يشبه نوع من البيت الزجاجي من الكره- جامداً كلية وحصرياً بالمطلق وذهانياً تقريباً. وبما أنه لا يعود يُسمح للمعلومات من الخارج التي يمكنها أن تبرئ صورة العدو بالمرور، وتقوم صورة العدو بشفط "المواضيع الشريرة" للاشعور من الداخل في شكل من المغناطيس البين نفسي، يصبح الأمر أكثر تهديداً، ويتكاثر إلى غول محبب للخيالات. فتتسأ دائرة زورية (بانارونية) نمطية: فكما أصبح العدو في الخيال أكثر شراً، فلا بد من مقاومته بشكل أشد، ومن جهتها تعزز ردة فعل العدو المعاكسة الإسقاطات الذاتية. وفي الوقت نفسه يتم بشكل مطرد إدراج مواضيع لا ذنب لها، والتي ترتبط بصورة فعلية أو مفترضة بصورة العدو –النساء، الأطفال، كبار السن- في تجسيد الشر وفي الحالة الجدية يتحولون إلى ضحايا نزعة لا ترحم للانتقام. وما يبدو للمحيط على أنه قمة انعدام الضمير، يعد بالنسبة للمتعصب تكليف إلهي، واجب مقدس.

وبالفعل فإنه يكمن في جوهر كثير من الانحرافات التعصبية للشخصية إمراضية (باثولوجيا) رهيبة للضمير، "السقوط الشيطاني" (Hole, 1995) من مثل أخلاقي مرتفع إلى حقد لا حدود له. فعند وجود إدعاء هائل بالعصمة يتم انتزاع قيمة محددة من الطيف الكلي للقيم والجري ورائها بتطرف شاذ، في حين تخفت القيم الأخرى كالتسامح والتعاطف والرحمة. فلنتأمل حماية الحيوان المحاربين أو مناهضي الإجهاض الذين يبدؤون في النهاية بالقتل بأنفسهم، أي يفعلون بالتحديد ذلك الذي يتهمون به موضوع كرههم. فالأنا والأنا الأعلى ينصهران معاً في دور المنتقم أو محرر الإنسانية أو محارب الله إلى اتجاه عظامي يحصن ضد التعاطف وكل مشاعر الذنب. وباسم أسمى مبدأ أخلاقي يلاحق المتعصب عدو رؤياه بالجزء البدئي من الأنا الأعلى الطفولي،

ويتحول في إطار محكمة لا ترحم إلى المدعي العام والقاضي والجلاد في الوقت نفسه. وفي أحسن الأحوال يعتبر القتل والاغتيال كضرر مصاحب للكفاح الثوري، على أنه إزالة "واقية للعرق" "للحشرات" البشرية أو - على أفقر وجه على أنها - علاج للضحايا أنفسهم. وهكذا يقال أن ملاحق السحرة ريميغيوس Remigius قد اتهم نفسه في نهاية حياته بأنه قد أحرق أيضاً أطفال السحرة وطهرهم للحياة الأبدية.

ومهما شدد المتعصبون على نكراهم لذاتهم فيما يقومون به، فإن محركات أفعالهم الدافعية هي دائماً الحقد، الشعور واللاشعوري، المفهوم وغير المفهوم، البارد وغير البارد. وبما يشبه الأمر في شذوذات الجنسية التي يتسلل إليها الحقد والسادية باطراد متزايد، يبدو أنه من الممكن أيضاً أن ينحرف التطبيق السليم للمثل الأعلى، وصولاً إلى نقطة لا يصبح فيها المثل الأعلى سوى حجة للتدمير. ومن المؤكد، أن الحقد يظل في أشكال التعصب الصامت (الأخرس) والمعتزل مغلقاً، على عذاب المثل الأعلى الزاهد للذات، على خوف المرعب من النار - أو من الانصياع للشيطان. وبداية عندما يتم التشكيك بالمنظومة الإيديولوجية لمثل هؤلاء الناس ينفجر البعض منهم بغضب نرجسي لا يكبح. ويميل التعصب الإنساني منذ البداية لمزيد من التصعيد الشرير، إذا ما أغلق المثل الأعلى، للتعويض عن الإهانة الشخصية أو الوطنية. وبغض النظر عن مقدار ما يكمن في "العداوات الموروثة"، في الصراعات الدينية والعرقية المزمنة من قيم من نحو الوطنية patriotism والشرف والكرامة والاستعداد للتضحية، فإن الأمر الحاسم، إلى جانب الصراع على المكاسب الاقتصادية والثأر والانتقام revanche thematic الدائمين، هو رد الإهانة للعدو "المشطين" والسيطرة عليه بطريقة سادية وتحقيره. وبشكل خاص عندما تبدأ مجموعات من الشعب، تدعي كل واحدة منها بأحققتها لوحدها في البلد، باستغلال الله، فإن الصراع يهدد بالتصعيد إلى دائرة عبثية من النزعة للانتقام والثأر والقصاص. ولا يمكن للصراع أن ينتهي بالنسبة للمتعصبين إلا عندما يتم سحق "الشر" "الدخيل"، "الكفار"، كلية من مجموعتهم نفسها ومن المنطقة ككل. وبما يشبه الاتفاق اللاشعوري يبدأ المتطرفون من كلا الجانبين بأول أعمال العنف، عندما تبدأ تلوح في الأفق بوادر المصالحة ونجاح مباحثات السلام. وفي شكله الشرير المدمر يستغل التعصب الإنساني المثل Ideal فقط كحجة للنوايا التدميرية. فالعدو، موضوع الحقد، لا يجوز هديه، إيقافه عند حدوده، إنما لابد من تدميره منذ البداية باعتباره وصمة عار، طاعون مهدد. إنها تلك "الرؤى الفاعلة active apocalyptic رؤى هتلر وبول بوت، التي ما زالت تفتح أبواب الجحيم على طريق البحث عن عوالم مثالية، مطلقة الصفاء. وفي الواقع يبدو أن دافع الموت الخالص، "وظيفة محو الموضوع Des-

objectilization function (Green,2000) تمزيق كل عمليات الحياة، النصر على الشر والعبثية الكلية، هو المتصرف في مصانع الإبادة، في الحقول القاتلة killing fields".

فهل ما زال الاستحواذ يمثل هذه الأفكار الاستبدادية والتدميرية قابلاً للفهم بالمقاييس العلمية النفسية السوية، ألا يتعلق الأمر في النهاية بمفرز عملية نفسية ذهانية غير مفهومة كلية؟ لقد أثار هذا السؤال اهتمام كتاب سيرة هتلر بشكل خاص. فبمقدار ما تناسب أجزاء مرضية للإنسان في القناعات المتطرفة وتصبح في حالة الانحراف التعصبي دائماً مطردة القيادة – التعصب ليس مرضاً نفسياً منذ البداية. فالمعاناة العصابية تسبب التناقض وعدم الثقة والوهن، ويتجلى الهذيان الفصامي على الملاحظ الخارجي بشكل مستغرب، وهو يعزل المريض عن محيطه. في حين أن المتعصب بالمقابل، على الأقل الموهوبين منهم، غالباً ما يمتلكون إحساساً رهيباً برغبات ومخاوف الآخرين، ويعرفون كيف يجذبون الجماهير وتهيجها واستثارتها وفي الوقت نفسه كيف يُفسدون، ويجيدون تورية تطرف نواياهم بحذافة. وبالتحديد فإن القادة الهدامون يستغلون أجزاءهم المرضية (الباثولوجية) ونزعات الهو البدائية في خدمة رسالتهم. فيؤثر الهيجان الهستيري بشكل كارزمي، والتحريض القهري بشكل حزمي، والصمود الزوري (البارانوي) بشكل مقدس. ويكاد المرء يود الكلام عن "الهذيان السليم"، عن قناعة المأل الشاذة التي لا تنزعز كلية، والتي تتم متابعتها بأقصى درجة من المنطق والدقة. ويستطيع المتعصب أن يستخدم ببرودة الطاقة التي تنبثق من نفسه في خدمة رسالته، هنا يكون في قمة العقلانية. إلا أنه غير قادر على التشكيك بلا منطقية انقسامه الخاص، على التفكير بدقة بمبرراته. والنتيجة هي دائماً التآرجح المربك بين الحالات النفسية المختلفة، بين أشكال التفكير وآليات الدفاع الأكثر نضجاً والأقل بدائية، تلك "الوثبة" من سلامة النية إلى الشك الغاضب، من التقويم المنطقي للوضع إلى الإسقاط البدئي للذنب. ولنتأمل ذلك الانقسام في جوزيف غوبلز Joseph Goebbels ، الخليط من التوق الباطني للخلاص واليأس العدمي nihilistic والحيوية المحدثة ذاتياً self induced Euphoria والبعد الكلي Cynical Distantination، وكره الذات والامتعاض الناصر. وكواحد من أكثر قادة النازي جميعهم واقعية رأى بعد ستالينغراد حساسية وضع الحرب وضعف هتلر الواضح، ليتمكن من تصحيح هذا الفهم في أقرب فرصة من خلال مزيد من التصديق.

الثقة البدنية المهزوزة بوصفها الطبقة الأعمق للتعصب الإنساني

لم تثمر حتى الآن كل محاولات عزو التطورات الشخصية المتطرفة بشكل صارم إلى صراعات طفولية محددة أو خبرات انصدامية أو تشكيلات أسرية أو تفويض أسري familiarly

Delegation. إذ لن تتمكن أي نظرية علمية في يوم من الأيام في التحديد الشامل للعوامل الكثيرة والصدف والتحويلات التي تصب مثلاً في سيرة إرهابية ما. إلا أن ذلك لا يعني أنه ينبغي النظر إلى كل تحقيق للسيرة الذاتية على أنه عديم الجدوى-افتراضي useless-speculative. تظهر المواضيع الأساسية، الآليات الأساسية للتعصب في أزمات النمو الاجتماعية النفسية للطفولة. ففي كل إنسان تتشكل منذ وقت مبكر بشكل تنبئي **قوة متطرفة radical Potential**، تتشكّل أول مرة في المراهقة والمراهقة المتأخرة على رؤى انفعالية (عاطفية) وصور أيديولوجية محترمة ويمكن أن تتأزم لدى القليل من الأفراد -ضمن ظروف حياتية وتاريخية خاصة- إلى تصلب تعصبي.

ويبدو أن الجذور المبكرة والأولية للحقد والتطرف الإنسانيين تعود إلى وقت مبكر جداً قبل تطور اللغة، إلى حالات الغضب والاعترا ب في سن الرضاعة. ففي سن الرضاعة تكمن رؤى المتعصب المثالية Vision of Fanaticers' utopia على نحو السلاسة النكوصية، البحث عن عالم التكافل الأصلي الأمومي النرجسي-الأولي primary-narcistic، الصافي كلية والمنسجم. وموضوع الحقد عند المتعصب في أعماق الأعماق هو الشيء المُهَدّد للتكافل "الطيب فقط"، الشيء المقترح للتكافل، المسمم له، المدمر. وقد أكد كل ممثلو التحليل النفسي على الهشاشة الرهيبة لبدايات وجود الأنا وإقامة الاتصال بالعالم. و فقط عندما يغلب جو من الأمان الحاني على المخاوف وحالات الألم التي لا يمكن تجنبها لسن الرضاعة، تنبت هنا تلك التفاؤلية الأصلية، تلك الثقة الأصلية بأن الإنسان نفسه والحياة بخير، "كحجر أساس للشخصية الحيوية" (Erikson, 1981; P.98) أساس كل القدرة اللاحقة على الحب، كل الأخلاق والأمل الديني. وعلينا دائماً في صعوبات وأزمات الحياة أن نصارع ضد الشك الأصلي، ضد مشاعر اليأس والحيرة والغضب، التي من شأنها أن تولد الاستعداد للانقسام الأولي والتطرف والإسقاط المشحون بالحقد والإغواء الديماغوجي.

ويبدو وكأن الناس المتعصبين الممكنين potential-fanatical مضغوطين بشكل أكثر أولية elementary من قبل صراعات الثقة، وكأنهم قد عانوا مبكراً من صعوبات، أقاموا بصورة سليمة النية اتصالات ومشاعر عميقة. وليس من النادر أن يسبق الانفجار التعصبي فقدان شديد للثقة، فتزيد الميلانخوليا الداخلية والتمزق الخارجي الشعور المرتبك، الحائر، بعدم القدرة على مواصلة الحياة في عالم غير كامل بهذا الشكل. وتأتي مواجهة الفكرة المنقذة أو الشخص الذي يوحى بالكارزمية، بالأمل والمعنى إلى الهوية الممزقة كالبرق من جديد، وليس من النادر أن يوصف "بالحلول"، "بالكشف"، "بالإشعاع"، "بالولادة الثانية". ومنذ تلك اللحظة يرتبط قهر لا يرحم من الإيمان بالرؤيا الذاتية مع شك مرعب. والشيء المميز هنا هو تلك اليقظة الزوربية

(البارانوية) الرهيبة، التي يتفحص بها الناس المتعصبون محيطهم على أقل علامة من الفتور والشك. وبعد راينهارد هيدريش Reinhard Heydrich، رئيس جهاز أمن الدولة، الذي كان متفوقاً على رئيسه هاينرش هيملر Heinrich Himmler في البرودة والقدرة الشكاكية cynical Efficiency "مبدع الشك الأعلى over suspect". وبالفعل فقد اتخذ في العوالم المستبدة الشك الأصلي وقهر التأكد والمراقبة والوشاية سمات كافكاوية^٩. كل شيء مضطرب، فوضوي، عفوي، منفر بالقوة مشكوك به، في النهاية الحياة بالمطلق تصبح مشكوكاً بها.

وفي جميع العصور كان الدين المنظم organized Religion أكثر من قوى الثقة الأصلية للإنسان بأمان واستمرارية الوجود الإنساني. — غير أنه تمكن كذلك في أوقات الأزمات من تأجيج شك أصلي مستعص. وبالتحديد فإنه يبدو أن الأنصار والمتعصبين كثيراً ما تنقصهم طمأنينة وسكينة الثقة الدينية الحقيقية. ويبحثون في التمسك القهري بالعقيدة والقواعد والطقوس عن الحماية من الشك والقلق الوجودي. وتبدو إشارات الخشوع والخضوع، ذلك الذي يمارس بوصفه الطاعة لله وللسلطة الدينية، بشكل لا شعوري دائماً على أنها نوع من طقوس المصالحة مع الوالدين المجتافين^{١٠} المعاقبين الشريرين. ويعني الانحراف ولو قليلاً عن مطالبهما، الرمي في عالم مرعب من عدم الأمن والشك الأصلي. ومن ناحية أخرى يبدو أن لا تسامح ولا منطق التعصب السياسي يتغذى أيضاً من الهوامات والخواف المبكرة. إن ما يجمع كل الشوفينيين والعنصريين والمعادين للسامية من كل الألوان هو وهم العلاقة Relationship phantasma

^٩ نسبة إلى الروائي النمساوي فرانس كافكا Franz Kafka نـز (١٨٨٣ - ١٩٢٤) وقد تميّزت آثاره بتصوير قلق الإنسان الحديث.
٢- ١٠ الاجتياف introjection: عبارة عن تمثّل خيالي لمواضيع وصفات تابعة لهذه المواضيع بحيث تصبح جزءاً من الأنا أو الأنا الأعلى.

الاجتياف يمكن تشبيهه بالامتصاص. والفرق بينه وبين التماهي هو أن التماهي نوع من التغليف الخارجي لبنية مزعجة أما الاجتياف فهو تشريب هذه البنية داخلياً. وترى ميلاني كلاين أن الاجتياف عملية هامة ومفيدة في الطفولة، كونها تتيح للطفل استيعاب العالم، في البداية. ويوجد دائماً مع عكسه المكمل له، ألا وهو الإسقاط (أنظر أدناه). وترى كلاين كذلك أن الاجتياف والإسقاط هما أول اليتان يستخدمهما الطفل كأسلوب لإبعاد كل ما هو مؤلم عن الذات، وإن هدف الاجتياف جعل مواضيع العالم الخارجي غير خطيرة، من خلال إدخالها إلى الذات وجعلها جزء من الذات.

فالمشاعر التي لا يمكن إظهارها للخارج بسبب الخوف من العقاب والتي لا يمكن كذلك إسقاطها يتم توجيهها إلى ذات الشخص لتحبيدها. مما يؤدي إلى اتهامات الذات ومشاعر النقص والاكتئاب وإلى تصرفات انتحارية وتحقير الذات. وهنا ينظر الشخص إلى أن أسباب عدم الرضا عن الحياة تكمن فيه داخله، ويفتقد الشجاعة إلى البحث عن أسباب عدم الرضا عن الحياة في الخارج. وفي الشكل السلبي من الاجتياف يتم توجيه السلوك والمشاعر العدوانية بصورة جامدة وبشكل آلي ضد الذات. أما الشكل الإيجابي للاجتياف في مواجهة مواقف الحياة الخطيرة، فهو التماهي مع مواقف الآخرين ومن خلال هذا التماهي يمكن إخضاع مواقف الصراع للنقد الذاتي السليم ومن ثم يتقبل المرء إمكانية كونه ليس محقاً دائماً.

ويلعب الاجتياف دوراً مهماً في الحياة النفسية الأولى والصحة والمرض وبناء الشخصية. وكان أول من وضع هذا المصطلح فيرينتشي Ferenczi وتوسعت ميلاني كلاين في تفصيله، وأطلق عليه أبراهام تسمية Incorporation التي تعني دمج، اندماج، تجسدي. وقد أكد عليه فرويد في دراسته للميلانخوليا (الاكتئاب الذهاني)، ووضعه لاحقاً مقابل الإسقاط.

الطفولية الباكورة. فتعاش الجماعة الخاصة بشكل لا شعوري على أنها أمجية^{١١} أم حامية ومثالية، ينصهر معها المرء بجبروت تكافلي، يجعله عظيماً، سامياً، جليلاً، خالداً وينبغي الدفاع عنها بكل الوسائل ضد تهديدات الأشكال "الفكرة" و"المنحطة".

فتحدد الريبة الرهيبة، "قلق الاختلاط" خبرة العنصريين للعالم. ويمثل الغرباء، الأجانب، من خلال مجرد حقيقة اختلافهم فحسب، أذى للنرجسية الذاتية، وإما عليهم الاندماج الكلي أو يكافحوا بقسوة وإهمال مطرد التعصب (قارن Bohleber, 1992). وكثيراً ما نجد في "كفاحي"^{١٢} صور عن اليهود بوصفهم سوس وقوارض وحشرات وطفيليات تهدد باختراق العرق الآري "الصافي" وتدميرهم من الداخل، استعارة مجازية من الحشرات، جعلت في النهاية المذابح الجماعية تتحول إلى عملية "وقاية عرقية".

إنه لأمر مرعب، كيف نكصت جموع غفيرة من الجماهير من منظور الأزمات التاريخية في انقسامات ومشاعر ملاحقة المرحلة الفمية. ويبدو، كما يرى فولكان (Volkan, 1999) وكأن الفرد في أوقات الهلع الجماعي المتسلل ببطء يبحث عن الحماية في "خيمة" هوية-الجماعات الكبيرة، وكأن القائد، "عمود" الخيمة إذا جاز التعبير، قد انشغل (امتلاً) من جديد بالثقة الطفولية المطلقة. وفي مثل هذه المواقف يطرح الغوغانيين (الديماغوجيين) أنفسهم بسهولة "كمجبرين للثقة الأساسية المجروحة". إنهم يروجون أساطير عن تجانس ولحمة وعظمة جماعتهم الخاصة، يوجهون الحقد بعود ساذجة نحو صور الأعداء المختارين ويبدون من خلال ذلك بأنهم قد أزالوا كل الصراعات والتفكك كالبرق. وتتفجر التناقضات العرقية أو الدينية من جديد، الفروق الصغيرة والأصغر في الثياب، أو في الطقوس اليومية أو في اللهجة تستخدم لوضع خطوط الحدود بين الموثوق وغير الموثوق، الخير والشر. ويتحدث إيريكسون عن معبر الكلانية النفسية إلى الاستبداد، النكوص إلى نوع من خبرة العصبية، التي يتم التأكيد فيها على الضيق limited المطلق: "بالنظر لتحديد معين عشوائي للحدود لا يجوز، لما ينتمي في الداخل أن يخرج للخارج، وليس مسموحاً لما هو في الخارج، أن يدخل إلى الداخل" (1981, P.80). وغالباً ما تكفي إشارة صغيرة – هجوم عنيف، تحرك في منطقة "عدائية"- لينفجر عنف بدائي وتشويه هذيان للواقع. فلا يشعر الفرد نفسه عندئذ غير جزء من جماعته المَهْدَّدة، ويترك نفسه في الحالات المتطرفة تنجذب إلى الوحشية، إلى أمور لم يكن قادراً على القيام أبداً بها في الأوقات المعتدلة. ولنتأمل الحرب الأهلية اليوغوسلافية، حيث عامل الأصدقاء والجيران بعضهم بين ليلة

^{١١} أمجية، الصورة المفهومية Imago الصورة في أصلها اللاتيني مشتقة من كلمة (imago)، المقصود منها كل تمثيل مصور مرتبط بالموضوع الممثل عن طريق التشابه. إنه الصورة المفهومية غير المادية. أما الإيميج (الصورة Image) فهي الصورة العيانية الملموسة. والإيماجو أو الأمجية هي الصورة الذهنية التي تمتلك نوع من التقديس.

^{١٢} كتاب لهتلر

وضحاها كأعداء لدودين وتحول المجتمع متعدد الأعراق إلى جحيم القنص ومعسكرات الاعتقال والاحتجاز الجماعي. وأحياناً وبالسعادة نفسها يمكن للمجتمعات أن تتحرك من حالة الاستبدادية ثنائية إلى حالة الكلائية. ولنتأمل هنا العودة الصامتة للألمان الغربيين إلى المبادئ الديمقراطية بعد عام ١٩٤٥ والاعتزاز بالماضي الدموي، على الرغم من أن بعض الاتجاهات السلطوية والقناعات المتطرفة قد ظلت عالقة في رؤوس الكبار وورثتها بشكل مربك إلى الجيل التالي.

التعصب ونار الحياء

إلى جانب الشك الأساسي هناك مصدر ثانٍ للتطرف والتعصب في الإنسان كامن بعمق في الحياة الروحية الطفولية infantile يتمثل في الشعور المعذب والمدمر بالحياء. فغالباً ما نجد خلف قسوة معارك الانتقام الخاصة أو الجمعية جروح نرجسية شديدة. يعد الإرهاب سلاح المستضعفين. وحول موضوع الحياء shame اللاشعوري لدى الديماغوجيين من نحو أدولف هتلر هناك الكثير من الطروحات. لقد وصف المحللون النفسيون من نحو فرويد Freud أو إريكسون Erikson أو فورمر Wurmser أو فولكان Volkan أو هيلغرس Hilgers الحياء على أنه الشعور المعذب بالاستسلام والخضوع والتنازل وتسويد الوجه وحدود جذور الخجل في مشاعر الاستسلام والصغر في السنة الثانية من العمر. ومن المؤكد فإن التخجيل المعير في التنشئة الاجتماعية الطفولية يمثل محفز نمو، ولا يمكن التفكير بالكرامة الشخصية والاندماج الثقافي من دون الشعور السليم بالحياء. إلا أن التخجيل الشديد يترسخ لدى الأطفال واليافعين على شكل جراح نرجسية مستعصية في الذات، ويمكن أن يصبح سبباً في الخجل المزمن والامتناع المتجذر عميقاً. وبعض الاتجاهات النمطية للمتعصب، الدفاع الصائر إلى تسارع عن الاستقلالية الذاتية، ووضع العناد المطلق، وتجنب الحوار الكلي يبدو أنها تمتلك جذورها التطورية الفردية ontogeny في صراعات السلطة في السنة الثانية من الحياة. وغالباً، إذا ما حصلت عند الناس غير الملفتين للنظر كلية حتى ذلك الحين لا معاوضة تعصبية-سعرية fanatical-amok decompensation^{١٣}، عندئذ ينفجر مقدار هائل من الحياء المتراكم.

يمتلئ الأدب العالمي بنمط المنتقم التعصبي. حيث يخرج المعني عن السكة نتيجة إساءة نرجسية ما، ظلم تهتز بنظرهم له السماء. ويبدو العالم وكأنه انقلب رأساً على عقب، وتتعتل كل مبادئ الحياة الكريمة. فتبدأ الرغبة بالثأر بالاستحواذ على كل التفكير والطموحات. ويصبح المستقبل

^{١٣} القاتل الراكض، أو القاتل المسعور: حالة من السعور أو الجنون يقوم فيها الشخص بذبح كل من يقف في طريقه وصولاً إلى أن يقتل أو ينتحر بنفسه.

غير ممكن التصور، إلا إذا تم جعل الآخر، عدو الحياة، نفسه في وضعية الاستسلام والانتصار عليه كشاهد مدى الحياة على التخجيل الذاتي. فقد جعل الظلم الموضوعي والشعور اللاحق باللاحول تجاه القضاء الفاسد ميشائيل كولهااس Michael Kohlhaas البار في حالة متطرفة من غضب الحياء. وعندما توفيت زوجته علاوة على ذلك خرج عن طوره بشكل زوري (بارانوي) وبدأ حرباً خاصة في سبيل حقه، فأحرق في غضب نرجسي مسعور قرى ومدناً كاملة، اعتقد أن عدوه موجود فيها. إن تماهي كولهااس Kohlhaas مع رئيس الملائكة ميكائيل (مخائيل^{١٤})، وظهوره كمبشر للفقراء والمحرومين كان من الناحية الموضوعية تبريراً Rationalization لرغباته في الانتقام تدل على الانتفاخ غير المحدود لذاته الضخمة. وبداية وعند احتجاج مارتين لوثر أنهى طور عبوره التعصبي الشديد وفسح المجال أكثر للقوى النقدية-والنقدية الذاتية ثانية.

التربية المتسلطة بشكل متطرف التي تريد كسر عناد الطفل تعمل بكل أشكال الإذلال والتخجيل. وغالباً ما ينمو عندئذ لدى الطفل الرغبة الحارقة لأن يصبح هو نفسه كبيراً من أجل الانتقام من المواضيع القاسية. إن ما يدفع كثير من الدكتاتوريين في أعماقهم، يبدو موضوع حياء رهيب وانتقام. وليس من النادر أنهم غالباً ما يعانون من انفصال طفولي شديد، تم جلد مشاعرهم المبكرة بالكرامة وتقدير الذات. نرجسيتهم الخبيثة، عدم قدرتهم على التعاطف والإنسانية تؤثر بطريقة شاذة في مواقف الأزمة على الجماهير المرتبكة بشكل جذاب جداً. وبالتماهي مع ذات مرضية متضخمة عليهم إسقاط المشاعر التعصبية للطفل الصغير والعجز والتفاهة على مجموعات الأعداء العزل، وكأنهم يقاتلون واستئصال ذاتهم هم المخجلة في هؤلاء. كان أدولف هتلر طوال عمره غير قادر على الحب والحنان والمرح، كان يسيطر على نفسه بشكل مربك. حتى أشد المقربين منه لم يمنحهم أي مدخل إلى حياته الداخلية، ظهوره كان نوعاً من "الاستعراض الدائم أمام جمهور ضخم" (Fest, 1973; P.709) شكل رسالة تعصبية "الأساس الصوّاني" لعقيدته، انتقامه بالانتقام من موضوع الكره لليهودية الاقتصادية العالمية، كبش الفداء لكل فشل الشخص وفي الوقت نفسه العار الهوامي "لعروسه" ألمانيا. وحتى في خطابات الحرب الثلاثة، التي لمح فيها هتلر إلى الهولوكوست، فقد ذكر أيضاً كيف أن "قهقهة اليهود"،

١٤ رئيس الملائكة ميخائيل (ميكائيل) له مكانة خاصة في المسيحية وتحتفل الكنيسة القبطية بإقامة تذكراً لرئيس الملائكة ميخائيل في اليوم الثاني عشر من كل شهر قبطي وتؤمن الكنيسة الأرثوذكسية برئاسة الملاك ميخائيل لجميع طغمت الملائكة وأنه ملاك القيامة الذي بشر النسوة حاملات الطيب قائلاً لهن المسيح قام من الأموات. (٤)

قريباً ما سيتم "إخراسها"، في الوقت الذي لم تكن قد خطرت على بال أحدهم فكرة، السخرية منه (قارن Matussek et al., 2000).

وليس من النادر أن تبرهن الإهانة النرجسية الجمعية في المواجهات مع الجماعات الكبيرة المتخاصمة على أنها أكثر أهمية من الحرمان أو الظلم الاقتصادي. فغالباً ما تندفن ذكريات الهزائم الوطنية أو المذابح أو الفرض غير العادل للسلام أو مس الرموز الدينية عميقاً في ذاكرة الشعوب الجمعية المؤسّسة تعصبياً fanatic mythologize بوصفها تخجيل انصدامي، واجب ولاء للثأر. وبالتحديد في مواقف الأزمات يحرك الديماغوجيين "هذه الصدمة المختارة" (Volkan, 1999)، التي تنبعث في خبرة الجماهير على شكل نوع من "الانهيار الزمني Time Collapse" (المرجع السابق)، دفعة واحدة بشكل حي، وكأنها حدثت الآن. ويتم استعمال عدم السماح بهزيمة أخرى وتخجيل جديد من العدو، كنقطة اصطياح هلع متسلل ويمكن أن ينقلب بشكل مفاجئ إلى مزاج من الاستعداد للدفاع والهجوم التعصبي.

ومن الطبيعي أن يسبب القمع والاستغلال والإملاء الخارجي الدائم حالة من الخيبة العميقة والخجل المزمن لدى البشر المترنين. إذ ليس هناك من سيطرة خارجية، لا تتحول في يوم من الأيام إلى التهكم cynicism والتوحش. ومثل هذا العنف المقيت ينتج الإرهاب القومي والانفصالي العرقي، والدافع الأساسي بداية الولاء المفرط للإطار المرجعي الخاص، وأمجية- الأم اللاشعورية التي قمعت وأخجلت وشوهت من القوى الشريرة. وغالباً ما يعد الإرهابيون أنفسهم على أنهم مندوبون من الأكثرية الصامتة، منتقمين لجماعتهم المهانة. إن الظلم المكابّد يتوق إلى الارتياح الكلي، إلا أن الدور الخاص "كضحية متمتعة بامتيازات" يجعل كل عمل عنف يبدو مبرراً. وليس من النادر أن يضيق نوع من "اليأس الحازم" منظور الحياة life Perspective عند المتطرفين إلى الكفاح الأبدي. وفي سلسلة العنف المتصاعد والتخجيل المتبادل -لنتأمل سيناريو الصراع الغارق باليأس في المدينة المقدسة- تنزلق على الأغلب كل الشعوب في حالة عقلية رهيبة من الامتناع المزمن. ويتحدث كانسيبر (Kancyper, 2000) عن "مبدأ العذاب Principle of agony"، حيث تذوب الحدود بين الخير والشر، الظالم والمظلوم، القاتل والضحية.

التعصب ومركب أوديب المتطرف

يبرهن مركب أوديب المتطرف radicalize Oedipus Complex نفسه باستمرار كمصدر طفولي ثالث للعنف والتعصب في الحياة الإنسانية. فحتى في تراجيديا العصور القديمة ظهر كيف يمكن للدراما حول الحب والغيرة والسلطة والمُلك أن تقلب الناس إلى جنون تعصبي. وبمقدار ما كانت نزاعات الأب-الابن، الأخ وأخيه تحدد التاريخ وما زالت، فإن في النزعة نحو

المطالبة المطلقة بالأحقية الذاتية والإنكار الكلي للخصم تبرهن دائماً على أنها جزء من الديناميكية الذاتية للتنافس والكره الأوديبين.

فبالأصل رأى فرويد أن مكن علاقة الحب الدراماتيكية بين الطفل ووالديه المحكومة بالفشل هو في مركب أوديب، الذي هو الخطوة المركزية للنضج وحجر العثرة الأساسي في الوقت نفسه في النمو الإنساني. ففي كل روح طفولية تترك التربية على مبدأ الواقع رواسب على العصيان ومشاعر الذنب كما تشحن (أي الرواسب) الصراعات الراهنة للإنسان من أجل القوة والسلطة والمنافسة بقوة تدميرية لا عقلانية. وفي الواقع يمكن للغضب من الظلم الاجتماعي والسياسي أن يلاحق دائماً أشخاصاً محددين فقط، وليس القانونية الخاصة لعلاقات السلطة القائمة بذاتها أو البنى الاقتصادية. ودائماً، عندما تنزلق التناقضات الاجتماعية بين الفقر والغنى، بين ذوي الامتيازات والمحرومين في عنف مطلق، يمكن أن يكون قتل الوالدين أو الطفل النتيجة المأساوية النهائية. فخوف الطغاة من ثورة المقموعين حددت في المجتمعات ذات الفروق الاجتماعية والطبقية الكبيرة بشكل خاص المناخ العام. إن ازدراع implantation تعاليم صارمة في الأنا الأعلى يهدف إلى منع أفكار النقد بمشاعر ذنب شديدة، وكان الدور الذي لعبه الدين المنظم في هذا التحويل إلى قاصر مخزياً في الغالب. ناهيك عن أنه حتى السلطة القمعية لم تتمكن من استئصال شوكة الشك والاعتراض عليها كلية. ودائماً ما كثف مركب أوديب من الرؤى الثورية عند المتمردين. ومن خلال بقاء نقدهم واقعياً أو انزلاقه بكره تعصبي مطرد للأب، فقد تحدد مصير شعوب كاملة. ففي الثورات الكبرى، الدموية، يكون دافع الانتقام أشد من تحقيق الأهداف السياسية الأساسية. وسواء علناً في ميدان الكونكورد Place la de Concord أم مختبئاً في الأقبية القذرة ليكاترينبورغ¹⁵ -ففي النتيجة يهدف الغضب الثوري إلى قتل الوالدين. فالثوريون يتماهون بالضبط مع تلك الاتجاهات التسلطية بالتحديد، التي كانوا قد حاربوها قبلاً ويشنون في طور من السعار هجمة من الرعب الانتقامي الذي لا يرحم. وباطراد متزايد يتحول الممثلين السابقين للطبقة العليا إلى مذنبين، أعداء الشعب، إلى مواضيع ينبغي تصفيتهم، وكذلك المساعدين الصغار لهم، التي يكافح فيهم المرء بينه وبين نفسه الانتهازية الذاتية فيه هو. وبالذات فإن الشطط الجماهيري المتطرف، إشباع نزعة الكره، تخنق كل الهوامات السياسية، تقضي على طاقة التطوير البناء وتجعل من الفقراء والمحرومين من جديد كومبارس في لعبة السلطة.

وبالعكس فإن إرادة الدفاع الحاسمة عن السلطة المعاشة على أنها مقدسة هي كذلك بوابة دخول واسعة للتطور المتطرف للشخصية، والسؤال، من الذي سبب الويلات أكثر في التاريخ، الكره

¹⁵ مدينة روسية

الأعمى للأب أم الإجلال الأعمى له؟. ففي كل مكان انتشرت فيه الصراعات الأوديبية بقسوة شديدة، ونمى الأنا الأعلى بشكل صارم جداً، بصورة حسودة ومتعصبة، ينمو الميل للخضوع الأعمى والتبعية العمياء. وبالتحديد فإن لدى المتحمسين جداً وشديدي الولاء والشديدي التدين تتقدم النزعة التعصبية الدفاع عن الموروث والثابت وإرادة الله بكل الوسائل إلى محور الاقتناع الجامد- وغالباً ما يتم استغلاله من الطغاة بصورة خطيرة. فالحيرة من عقلية التبعية المشؤومة للفاشية جعلت من حركة ١٩٦٨ تبحث عن الخير في مكافحة مبدأ السلطة بالمطلق. إذ لا يمكن أن ينشأ "وعي نقدي جديد"، لا يترك نفسه تصاب بالعمى من سلطة مستكبرة، إلا في إطار تربية متحررة بالمطلق من السيطرة فقط. وبتخدير من الأيديولوجيات التي برهنت عدم صلاحيتها تاريخياً منذ أمد بعيد، رأي المرء نفسه قريباً جداً من هدف حضارة عالمية من الحب. ولكن عندما تفرقت الأحلام، وانهارت كذلك حركة الاحتجاج بالسرعة نفسها التي انبثقت بها، تسلمت جماعة صغيرة نحو وعي مطرد التطرف بالرسالة بوجوب الإقدام على الثورة الآن. وبهذيانٍ بحربٍ نهائية رؤيوية apocalyptic بين قوى الشر والخير، تحولت ما يسمى "بالوية الجيش الأحمر Rote Armee Fraktion" في إرهاب انتقامي متسع الرقعة، في برودة ودقة أعمال القتل إلى صورة (كاريكاتير) للظروف الفاشية تقريباً، التي ادعى المرء مكافحتها. فزعيم العصاة أندرياس بادر Andreas Baader، الذي ترعرع بدون أب، جسد كجناح صغير يافع كل نرجسية تضع كل سلطة موضع الشك. وعندما ترقى إلى قائد الإرهاب الألماني اليساري، لم يعد يتحمل أي تناقض. واعتبر هو وعشيقته غودرون إنسلين Gudrun Ensslin أن الاعتراضات والاعتبارات السياسية عبارة عن نقص في الحزم الثوري. والأمر الحاسم كان هو الإرادة المطلقة للفعل. وكل أعضاء الجيش الأحمر قد انتسبوا بالأصل من أجل تحرير الأنا من العبودية والوصاية السلطوية، وتحملوا نغمة بادر Baader الأمرة الفظة. ومثل كثير من المتهوسين السياسيين لم يكن لتمرده التعصبي أي هدف ملموس، ظلت فلسفته الحياتية في النهاية متشبثة بمبدأ لا حدود له للذة. وفي النهاية ترقى بادر Baader باتجاه اهتياج agitation أوديبى مطرد عظامي، كان مقتنعاً من أنه سيتمكن بكومة من فلول الإرهابيين من تدمير نظام ألمانيا الاتحادية والناتو والنظام الرأسمالي كله.

ومن الطبيعي فإنه علينا في هذا الموضوع بالتحديد أن نمتنع عن تعميم التفسيرات التحليلية النفسية بشكل غير نقدي على الثقافات غير الغربية، حيث أن الاستعداد للخضوع، الذي قد يصل في الحالات المتطرفة إلى التضحية بالنفس، يعد مكوناً بديهياً للتقاليد المشتركة. فالإنسان المسلم حتى اليوم يعد أكثر بكثير جزءاً من مجتمع وعقيدة عليه احترام قوانينه وتوزيع الأدوار فيه ولا يستطيع الانفصال عنه بسهولة. والولاء المطلق للأسرة والسلطة الدينية واحترام وطاعة الابن

للأب ليست تعبيراً عن "مركب أوديبى سلبي" أو شهوانية مثلية مستترة، وإنما أساس حامل لثقافة محافظة مطيعة لإرادة الله. ومن ثم فإن صراع الأجيال لا يحل كثيراً في التسابق والتنافس، وإنما في الانتظام والخضوع، في تمام مبكر، الأمر الذي يولد استعداداً كبيراً نحو إسقاط الصراع الأوديبى على الخارج. وفي الواقع فإننا نعيش في الإسلامية Islamism الراهنة بالذات الانقسام المتطرف خصوصاً لصورة الأب. فكل المثل Idealization تتمركز في الله، الذي يعد ترتيبه للعالم هو الضمانة الوحيدة لبقاء الإنسانية. وكل الحقد يتوجه نحو "الشر"، والسلطة المستكبرة والحكام الفاسدين الذين خانوا الله جميعهم، واستسلموا للفجور الغربي، وبشكل خاص على السياسيين الغربيين الذين يقودون بقيادة الرئيس الأمريكي جورج بوش حرباً صليبية جديدة على الإسلام وقيمه.

المراقة والصلة بالتطرف

واحدة من التحويلات الأخرى، والتي ربما تكون الأهم، بالنسبة للتطورات المتطرفة في الشخصية تحدث في المراقة. فليس هناك أية مرحلة من مراحل الحياة يكون فيها الإنسان حساساً للرؤى المثالية Ideal Vision بهذا الشكل كما في هذه المرحلة، وفي الوقت نفسه سهل الإغواء من خلال العقائد المتطرفة radical doctrine. ففي هيجان المزاج والتناقض بين الميل والنفور يمر المراهقون بكل الصراعات الطفولية في سبيل الثقة والاستقلالية والخبيل والذنب ثانية. والتحمس للمثل العليا والأفكار، وأحلام اليقظة بعوالم مثالية تعني سنادة للرجسية الشابة المزعجة ويمكن من ناحية أخرى تأزيم أزمة الهوية. وبالتحديد لدى اليافعين المرفوضين والمجروحين كثيراً يجلب التماهي مع الشعارات المتطرفة والقادة اللاتصالحيين الترتيب الاصطناعي إلى الهوية المتطرفة، و"يفرغ" في الوقت نفسه الفشل والضعف. ولنتأمل في التحزبات المشحونة بالحقد في تعاملات اليافعين، حيث يتم البحث عن العدوانية والعنف بشكل قهري إلى حد كبير. ففي نوع من "تكافل الخصم adversary-Symbioses" أو من "الرقص القتال deadly dance" يتم إسقاط أجزاء الذات المحترقة وغير المحمولة والضعيفة على صورة العدو الخارجي المتضيق إبديولوجياً، ومحاربتها في الضحية المعتدى عليها وتدميرها (قارن Bohleber, 2002). وعليه يعيد التعصب المخزون damp للمتطرفين اليمينيين الشبان والتماهي مع الشعارات المناهضة للسامية والجنسانية sexist والعنصرية، ترتيب الذات من جديد على مستوى حدودي-ملائم Borderline-Kindly. إن الوعي بكون المرء ألمانياً، يعني نوع من إعلاء الشأن النرجسي المتكلف، ويصهر التضامن الهش في "حميمية من الحقد". فينتهي العزم على الحفاظ على هذا "الموضوع المثالي" "صافياً ضد" "الطفليات" الأجنبية وأعداء المجتمع بعقلية-

برنامج، رغاءه الابتدائي إذا جاز التعبير، ما يربط في الصياغات المعقدة للمتقنين اليمينيين الحديثين بالحد. وبالطريقة نفسها يقود الإسلام المتطرف بالنسبة لبعض الشبان العرب المقتلعين من جذورهم في المراكز الصناعية الأوروبية إلى التوجه في صراعات الهوية والحميمية المكبوتة. ويقدم التماهي مع الله وتعاليمه تحديداً واضحاً للخير والشر، ويفتح اتصالات جماعية متماسكة، ويحول الشعور بالخضوع تجاه الغرب إلى اتجاه من التفوق superiority الأخلاقي الحائق. وبمقدار ما كان وما زال تطور الشبان الأوروبيين الذين يصحون فجأة على جذورهم الإسلامية وينزلقون في هوية إرهابية غير مفهوم، فإنه يتجلى دائماً في مقدمة التأثير من خلال دعاة متطرفين، انغماس في قناعة دينية متطرفة، والتفوق في تعصب جماعي متضيق.

من ناحية أخرى فإن الحماس الإيديولوجي واللاوسطية والاستقامة عند المراهقين نوع من الإنعاش والحافز للتقدم. وتحتاج كل ثقافة إلى الشبان مختلفي التفكير-النقدي، الذين يكونوا غير راضين عن التناقضات والتطور التاريخي لمجتمعاتهم، والذين يثورون ضد الظلم "الطبيعي" ويلفتون النظر إلى مصير المحرومين والمستبعدين. وبالتحديد في الأوقات الاجتماعية الانتقالية يكون هؤلاء "المتمردون المخلصون loyal Rebels" (Erikson, 1981) رأس حربة تحول الوعي الاجتماعي. إن عدم الرضا بالأوضاع السياسية والاجتماعية السيئة يستفز دفعة واحدة فصائل كاملة من الشبان، ويقود إلى عصيان واحتجاج واسعين. وهنا وفي الموقع الحرج بين الانزعاج المحق والهيّاج المرضي، بين ضرورة الحفاظ على التقاليد وخطر التحجر المؤسساتي غالباً ما تقرر مسائل صغيرة (تافهة) المصير الاجتماعي اللاحق. فإذا ما تم تشويه مبدأ الاحتجاج الضروري للحياة من قبل السلطات الراشدة بشدة، فإن صراع الأجيال سوف يشحن بالخيبة والإسقاط والغضب، تحل هوامات العنف محل الاحتجاج الذي ابتداءً بشكل لعبي - كما هو الحال في تمرد الشباب في عقد الستينيات من القرن العشرين-. وبالتحديد عندئذ يمكن أن يحصل أن بضعة شبان ينزلقون في "هوية الحق Identity of Worth" ويتوهون في وهم عنف تحرير الإنسانية وصولاً إلى فقدان الواقع. وتاريخ الجيش الأحمر الألماني RAF أو الألوية الحمراء الإيطالية أو الجيش الأحمر الياباني Japanese Red Army يظهر، مثله مثل المثل العليا التحريرية أو البيئية أو السلمية (اللاعنفية Pacifism)، أنها تستطيع أن تنحرف في تعصب جماعي مسعور ورؤى تدمير سادية.

تمثل الظاهرة المتناقضة المتمثلة في استغلال قدرة الشباب على الحماس والشبابي من خلال المؤسسات الاستبدادية والقادة المهوسين بجنون العظمة أحد الوجوه المأساوية لموضوعنا. فمن مراهقي الحملات الصليبية التي كانت تستغل الأطفال مروراً بشيبيّة هتلر وصولاً إلى جنود آية الله الخميني من الأطفال - فقد كان دائماً يتم إصابة الشبان بعدوى الإيديولوجية المشحونة

بالحدق والتضحية بهم بلا تبصر في الحسابات الباردة للسلطة. ومن المؤكد، فإن جزء كبير من عمى البصيرة هذا هو نتيجة للدعاية وغسيل وحشي للدماغ. ولنتأمل هنا في الأطفال اليتامى المنتقين والشبان العرب المجندين بشكل إجباري، الذين يتم إعدادهم في معسكرات خاصة للحرب المقدسة وتحويلهم إلى آلات للموت. إلا أنه من ناحية أخرى فإن رغبة الشبان هي الانطلاق نحو شيء أسمى، وأن يتم تمييزهم و"اختيارهم" من هيئة تبدو كارزمية، وهي رغبة يتم استغلالها بطريقة إجرامية (قارن Erlich, 2003). ولنفكر هنا بأفلام الفيديو المصورة التي يقوم فيها الشبان الفلسطينيون بتوديع أهلهم قبل تنفيذ عملياتهم الانتحارية، الذين يقسمون بفخر، بأنهم لم يعودوا يتحملون إذلال الاحتلال الإسرائيلي، وأن حياتهم لم يصبح لها اتجاه ومعنى إلا عندما التقوا بالسلطة الدينية. إن الوعي، بأن الأنا-المثالي Ego-Ideal يمثل مجتمعهم، بأنهم مصطفىون من الله، من المثل العليا الدينية، يشبه "الإسمنت" (Volkan, 1999)، الذي يعيد ترتيب الهوية المفتتة من جديد. إن طقوس الإحياء الذاتي والخطب الدينية حولت المرشحين قبل العملية إلى حالة من الوعي الخاص "للشهيد"، الخاضع كلية لإرادة الله. ناهيك عن أنهم بالنظر لموتهم يذكرون أصدقائهم وأسرهم أن يظلوا صامدين. والتضحية بالنفس تصبح وكأنها تتويج وذروة حياتهم. وفي الواقع فإن الأقارب ينكرون المهم ويفسرون العملية على أنها "عرس".

انبثاق التعصب والارتقاء التعصبي

ولكن ما الذي يسبب لدى القليل فقط التصلب التعصبي الحقيقي، ذلك التبديل الشخصي غير المفهوم للاتجاه، ذلك التشرب الكلي للإنسان بطاقته المتطرفة؟ لقد استطاعت الفرضيات العلم نفس أعماقية والديناميكية الأسرية والطبية النفسية إلقاء الضوء على بعض من ذلك وطرح من جهة أخرى ألغازاً جديدة. فدائماً هناك تفاعل خاص جداً بين الدوافع طويلة ومتوسطة وطويلة الأمد، وغالباً ما تحسم صدف صغيرة وأصغر، فيما إذا كان مصير إنسان ما سيتصلب باتجاه تطرفي أم لا. وغالباً ما نجد قبل الانبثاق التعصبي الفعلي **طور إنذاري Prodomal Phases** (Conzen, 2005)، زمن التذبذب القاتل. وتستحوذ الخطة المقبضة على الشخصية، إلا أنه ما زال يوجد قوى معاكسة، وارتباطات بالمحيط الموثوق. ويزعم بأن زياد جرار، قائد طائرة القتل الرابعة في ١١ سبتمبر قد تذبذب حتى اللحظة الأخيرة بين نمط الحياة الغربي وطريق الاستشهاد. وأحياناً يكتمل التصلب بشكل متسلل، كما حصل أحياناً في ساحة التطرف اليساري لسبعينيات القرن العشرين. وفي وقت من الأوقات، على سبيل المثال عند أول استخدام للسلاح، تنقلب فكرة اللاشرعية إلى جد دامي، يلاحظ المعني بأنه قد مضى في طريق لا عودة عنه. وفي حالات أخرى يحدث تبديل مفاجئ للاتجاه. وما يكون جاهزاً كنمط معرفي، يستحوذ

فجأة على الشخصية. ولنفكر هنا بهروب أرولريكه ماينهوف Ulrike Meinhof من معهد دالمر، تلك "القفزة" المشهورة نحو اللاشعورية. ومن ناحية أخرى يمكن لما يصفه المتعصبون بأنه انبثاق مفاجئ للرؤيا، أن يكون جزءاً من أسطورة الذات. وعليه فإن "خبرة باسيفالك" المزعومة لهتلر قد تم دحضها بوضوح في هذه الأثناء كقائد خرافة.

ومن المنظور التحليلي النفسي يعني انبثاق التعصب إعادة بناء كلي للذات ولإدارة الطاقة النرجسية. فالقناعة التعصبية تزحف باتجاه لب الهوية، تصبح محور ومفصل خبرة متغيرة كلياً للعالم. وتزحف عناصر كانت حتى الآن هامشية وسلبية من الذات، أي عدم التسامح والغضب والفظاظة إلى المركز، وتجعل من المطلب متطرفاً بشكل شديد. وينقطع الارتباط بالأسرة أو الأصدقاء أو التصورات القديمة عن العالم، الذي ما زال يمسك بالمتطرف، وغالباً ما يتحول إلى احتقار لاذع. وينساب الليبدو إذا جاز التعبير من المواضيع ويتمركز في رفع شأن المهمة الذاتية. ويتحول النجاح في الرسالة الذاتية إلى جوهر الأنا-المثال، أن يتذبذب، أن يفشل، يصبح النقد الوحيد تقريباً للأنا الأعلى. ويعمل الأنا هنا كمساعد تنفيذ بلا توقف، ولكنه لا يعود قادراً على الاعتراض النقدي وعلى تصحيح المسار. وبصورة غير مفهومة بالنسبة للمحيط فإن المعني قد سار في طريق بطولي منفرد. وتقفر القدرة على الحب بشكل كامل، هذا إذا كانت موجودة بالأصل. وعلى الزوجات إما أن يخضعن كلية للمفهوم الشاذ عن الواقع أو أن يتم صدهن بشكل مشحون بالكره. ولعله يمكننا أن نتحدث هنا عن تولدية Generativity منحرفة، لا قرار لها، تدفع الناس المتعصبين. إنهم يريدون إصلاح العالم في كليته، إلا أنهم يفقدون للقدرة على الإحساس، على تحمل التناقضات، على عمل الخير الملموس، حتى لو كان متواضعاً. وكل الممثلين المشهورين للجيل الأول من الألوية الحمراء الألمانية ضحوا بعلاقاتهم بأولادهم في سبيل عظمة رسالتهم الذاتية. وفي حين أرادوا جعل أن العالم أفضل بالنسبة لأجيال المستقبل، فإنهم تخلو بشكل متطرف عن مسؤوليتهم الخاصة الأساسية.

ومن غير الممكن التنبؤ بالكيفية التي سينمو التعصب فيها في مجرى حياة الرشد اللاحق، هل سينتقم أم سيصبح عادة أم يتلطف. فما زالت الشخصيات المتعصبية قادرة حتى اليوم تلقى الإجلال حتى اليوم بوصفها مثلاً عليا وشخصيات كارزمية، وقادرة على تأكيد ذاتها وتضع ختمها على العالم. لقد مات هؤلاء شخصياً – "متلازمة بينوشيت Pinochet-Syndrome" بشعور من الرضا الداخلي، واستطاعوا تعميم جوانبهم الهدامة، مثل أتباعهم، من ميزان حياتهم. وغالباً ما يتهدب التعصب بعد تجلياته التهدمية-الشاذة. فكثير من الإرهابيين تخلوا بعد سنوات طويلة من السجن عن إيديولوجيتهم، ونظروا لهياجهم العنيف فيما بعد على أنه يشبه المرحلة غير الحقيقية في حياتهم. وبعضهم بدأ حياة جديدة كلية، وتولى المسؤولية. وآخرين أصبحوا

كسيحين، وتلاءموا مع كبر السن، وعوضوا صراعاتهم الباكرة ثانية، أو انحدروا من جديد، مثل إرهابي الجيش الأحمر السابق هورست مالر Horst Mahler في وضعية إيديولوجية معاكسة بشكل متطرف. وفي التطور الشاذ الواضح فإن التغير التعصبي في الشخصية هو "وجود نحو الموت". سافونارولا Savonarola أو روبيسبير أو هتلر أو أندرياس بادر أو سيد قطب، جميعهم أفرطوا في مطالبهم إلى درجة أنهم في النهاية قد قادوا أنفسهم إلى حتفهم بأيديهم. وجزء من جزء بطولي قاتلوا حتى النهاية "مبدأ الشر" المطلق، انتقموا بشكل لاشعوري من عالم برهن نفسه على أنه غير جدير بروأهم.

خاتمة

هل ستستطيع البشرية استئصال نزعتها نحو التعصب والعنف، أو على الأقل صدّه؟ وهذا السؤال يبدو اليوم أشد مصيرية من حل التحديات الاقتصادية والبيئية الكبرى. فالوضع العالمي هو وضع متفجر، والمسألة الإنسانية القديمة جداً، من يتحالف مع من وضد من لتحقيق مسائل اقتصادية والتنفيس عن الحقد، لم تصبح في أي وقت أشد غموضاً مثلما هي الآن. ولما يمكننا أن نستمر في الوقت الراهن تصور وجود سيناريو صراع عالمي كبير، "صراع الحضارات". إلا أن مجموعات صغيرة، وصغيرة جداً، تحمل قناعات دينية وشبه دينية شاذة يمكنها أن تسبب كوارث كبيرة. ويكاد المرء يجزم، بالمطالبة "بدكتاتورية الحكمة" (Freud, 1927)، ضد عاطفة لم نعد اليوم قادرين على تحقيقها. إلا أنه لن تقوم في المنظور القريب أية أخلاق مشتركة، أي هوية جامعة للشمل العالمي. بل على العكس فالنضال من أجل المواد الأولية الناضبة يحتمل أن يزيد من حماس الأنانيين القوميين والمتطرفين الدينيين. وكل شيء غير توقعنا لأزمات شديدة قادمة، سيكون نوع من تشويه الرؤية. إلا أنه ومع ذلك ليس هناك من بديل عن حوار الحضارات والأديان، عن "الدمقرطة" التدريجية لهذا العالم.

وبمقدار تنوع التعصب وعدم القدرة على التنبؤ به في الناس والجماعات، فإن آليات تشكيل الأحكام المسبقة والتمييز العنصري والملاحقة تمتد عبر كل الحضارات والعصور دائماً بشكل مشابه. وقد توفرت للعقل الإنساني الكثير من المعرفة حول إمكانات الانزلاق الذاتي، ونحن لم نعد نستطيع اليوم أن نتعلل بالأعذار. فمن ينشر اليوم الخرافات، ويؤجج صورته الأعداء عليه أن يعرف ما الذي يسببه في حالة الجد. وليس هناك من مفكر قد شعر بمسؤوليته نحو التنوير بحزم وفي الوقت نفسه أبرز من دون أو هام عجز الحكمة مثل فرويد Freud. ففي عام ١٩٣٠ كان قد تنبأ بشكل مسبق بمخاوف الإنسانية من طاقة تدميرها الذاتي: "لقد تمادى الناس الآن من خلال السيطرة على قوى الطبيعة إلى درجة أنه أصبح من السهل عليهم بمساعدتها، استئصال

بعضهم بعضاً حتى آخر رجل. إنهم يعرفون ذلك، ومن هنا جزء كبير لتوترهم الراهن، لتعاستهم، لمزاجهم القلق" وبالطبع يتابع:

"but it is to be expected that the other of the two 'Heavenly Powers', eternal Eros, will make an effort to assert himself in the struggle with his equally immortal adversary. But who can foresee with what success and with what result? (Freud, 1930; P. 506).؟

ولكن من المتوقع أن يكون لأحد هاتين 'القوتين السماويتين'، إيروس الأبدية، أن تبذل جهداً من أجل إثبات ذاتها في الصراع مع عدوها الخالد مثلها. ولكن من يستطيع التنبؤ بالنجاح والنتيجة؟ (فرويد، ١٩٣٠؛ ص: ٥٠٦).؟" فما الذي يمكن للمرء إضافته لكلمات فرويد في وضعنا الراهن أيضاً؟

المراجع

- Auchter, T, Büttner, C, Schultz-Venrath, U, Wirth, HJ (Hrsg) (2003) Der 11. September. Psychoanalytische, psychosoziale und psychohistorische Analysen von Terror und Trauma. Psychosozial-Verlag, Gießen
- Bohleber, W (1992) Nationalismus, Fremdenhaß und Antisemitismus. Psychoanalytische Überlegungen. Psyche 46: 689-709
- Bohleber, W (2002) Gewalt in der Adoleszenz – Sackgassen in der Entwicklung. In: Schlösser und Gerlach: 557-572
- Bolterauer, L (1989) Die Macht der Begeisterung. Fanatismus und Enthusiasmus in tiefenpsychologischer Sicht. Edition discord, Tübingen
- Chasseguet-Smirgel, J (1989) Anatomie der menschlichen Perversion. DVA, Stuttgart
- Conzen, P (2005) Fanatismus. Psychoanalyse eines unheimlichen Phänomens. Kohlhammer, Stuttgart
- Erikson, E H (1981) Jugend und Krise. Die Psychodynamik im sozialen Wandel. Suhrkamp, Frankfurt aM
- Erlich, S (2003): Trauma, Terror und Identitätsbildung. In: Auchter et al. 219-230
- Fest, JC (1973) Hitler. Propyläen, Berlin
- Freud, S (1921): Massenpsychologie und Ich-Analyse. GW 13, 71-161
- Freud, S (1927): Die Zukunft einer Illusion. GW 14, 325-80
- Freud, S (1930) Das Unbehagen in der Kultur, GW 14, 419-506
- Green, A (2000): Geheime Verrücktheit. Grenzfälle der psychoanalytischen Praxis. Psychosozial-Verlag, Gießen
- Henseler, H (1995) Religion - Illusion? Eine psychoanalytische Deutung. Steidl, Göttingen
- Hole, G. (1995): Fanatismus. Der Drang zum Extrem und seine psychischen Wurzeln. Gießen: Psychosozial-Verlag

- Kakar, S (1997) Die Gewalt der Frommen. Zur Psychologie religiöser und ethnischer Konflikte. C. H. Beck, München
- Kancyper, L (2000) Das Gedächtnis des Grolls und das Gedächtnis des Schmerzes. Psyche 54: 954-972
- Kernberg, OF.(1998): Wut und Hass. Über die Bedeutung von Aggression bei Persönlichkeitsstörungen und sexuellen Perversionen. Klett-Cotta, Stuttgart
- Kohut, H (1973) Narzissmus. Suhrkamp, Frankfurt aM
- Matussek, P, Matussek, P, Marbach, J (2000) Hitler. Karriere eines Wahns. Herbig, München
- Mitscherlich, A. (1977): Massenpsychologie und Ich-Analyse – ein Lebensalter später. Psyche 31, 516-539
- Richter, HE (1995) Denken gegen Anpassung. Hoffmann & Campe, Hamburg
- Stierlin, H (1975) Adolf Hitler. Familienperspektiven. Suhrkamp, Frankfurt aM
- Volkan, VD (1999) Das Versagen der Diplomatie. Zur Psychoanalyse nationaler, ethnischer und religiöser Konflikte. Psychosozial-Verlag, Gießen
- Wirth, H-J (2001) Hitlers Enkel oder Kinder der Demokratie? Die 68-er-Generation, die RAF und die Fischer-Debatte. Psychosozial-Verlag, Gießen